

الإمام الشافعي وأثره في علم الكلام

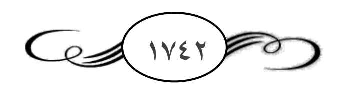
دراسة تحليلية

إعـداد الدكتور

عمـاد الدين عبده العجيلي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

كلية أصول الدين بالمنوفية - جامعة الأزهر



الإمام الشافعي وأثره في علم الكلام ... دراسة تحليلية

عماد الدين عبده أحمد العجيلي
قسم العقيدة والفلسفة. كلية أصول الدين بالمنوفية- جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: emadalalageeli.adv@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز التوفيق بين ما ورد عن الإمام (الشافعي) من ذمٍ لعلم الكلام، وبين الإسهام فيه، وإظهار الجانب الكلامي عند الإمام (الشافعي)، وحنكته فى المناظرات الكلامية، والكشف عن أثر منهج وآراء الإمام (الشافعي) فى علم الكلام على الفكر الأشعري اللاحق له، ولقد استخدمت فى هذا البحث عدة مناهج لمعالجته: التاريخي، والتحليلي، والمقارن .

وتوصلت في هذا البحث إلى نتائج عدة من أهمها: أن ما ورد عن الإمام الشافعي بالقدح في علم الكلام؛ لأنه كان يطلق آنذلك على القدرية، والمعتزلة، وأهل الزيغ والأهواء، كما بَيّن البحث إسهامات الإمام (الشافعي)، وقدرته في تقرير بعض القضايا الكلامية الكبري كالاستدلال علي وجود الله سبحانه، ووحدانيته، وقضية خلق القرآن، ورؤية الله فى الآخرة، وغير ذلك من القضايا الكلامية مما يدل على أنه ما تكلم فيه إلا بعد أن سبر أغواره، وأحاط بدقائقه، كما أنه مع اتباعه للأثر؛ إلا أنه كان يؤمن بالنص المؤيد بالعقل ، كذلك أظهر البحث أن الإمام (الشافعي) لم يكن لديه شغف في المناظرات في علم الكلام إلا إذا ألجأه الموقف، وفرض عليه الظرف التطرق إليه، فيتأهب لذلك حتى لا يجد الخصم بدا من التسليم بقول الشافعي لبراعته في إفحام الخصم، ومن أهم ما توصل إليه البحث أن آراء الإمام (الشافعي) الكلامية كانت اللبنة الأولى التي شَكَّلت المذهب (الأشعري) عن طريق المدرسة الكُلَّابية، والذى بدوره قام عليه أهم مذهب كلامي لجمهور الخلف من أهل السنة .

وأوصيت: بضرورة إبراز الجانب الكلامي لدي المنتمين للعلوم الشرعية



على اختلافها لبيان الصلة بين علم الكلام، وغيره من العلوم، لأنه أصل تقوم عليه سائر الفروع الأخرى، وبالتالي من الأهمية بمكان أن تكون دراسات بينية يظهر من خلالها ترابط علوم الإسلام ببعضها البعض.

الكلمات المفتاحية: الشافعي، علم الكلام، المناظرات، الاستدلال على وجود الله، الفكر الأشعري



Imam Shafi'i and his impact on theology ... Analytical study

Imad Eddin Abdo Ahmed Al , Ojaili
Department of Doctrine and Philosophy. Faculty of Fundamentals of Religion in Menoufia - Al-Azhar University - Egypt.
Email: emadalalageeli.adv@azhar.edu.eg

Abstract:

The aim of this study is to highlight the reconciliation between what was reported from Imam (Shafi'i) of disparagement of theology, and between contributing to it, and to show the verbal side when Imam (Shafi'i), and his skill in verbal debates, and to reveal the impact of the approach and views of Imam (Shafi'i) in theology on the subsequent Ash'ari thought, and I have used in this research several approaches to address it: historical, analytical, and comparative.

And reached in this research to several results, the most important: that what was reported about Imam Shafi'i slander in the science of speech, because it was called then on fatalism, and Mu'tazila, and the people of deviation and passions, as the research showed the contributions of Imam (Shafi'i), and his ability to decide some major theological issues such as inference on the existence of God Almighty, and oneness, and the issue of the creation of the Qur'an, and the vision of God in the hereafter, and other issues of speech, which indicates that he did not speak in it only after probing its depths, and surrounded its minutes, It is also with his follow-up to the impact, but he believed in the text supported by reason, as well as the research showed that Imam (Shafi'i) did not have a passion for debates in theology unless the

situation resorted to him, and imposed on him the circumstance to address it, so prepare for it so as not to find the opponent seemed to recognize the words of Shafi'i for his ingenuity in scolding the opponent, and one of the most important findings of the research that the views of Imam (Shafi'i) verbal was the first building block that formed the doctrine (Ash'ari) through the Kalabia school, which In turn, it was based on the most important theological doctrine of the audience of the successor of the Sunnis.

I recommended: the need to highlight the theological aspect of those who belong to the various Islamic sciences to show the link between theology and other sciences, because it is an asset on which all other branches are based, and therefore it is important to have interdisciplinary studies through which the interdependence of the sciences of Islam with each other appears.

Keywords: Shafi'i, theology, debates, inference about the existence of God, Ash'ari thought



المقدمة

الحمد لله واهب النعم ، بارئ النسم ، خالق كل شيء من عدم ، أرسل رسله وأنزل كتبه لهداية الأمم، ثم أرسل رسوله الخاتم، محمد بن عبد الله، الصادق الأمين الذي لا يتهم ، فاللهم صل وسلم وبارك على نبينا الأكرم ، خير من قال ومن علّم ، أفصح من نطق وتكلّم ، وعلى آله وصحبه وسلم ، صلاة وسلامًا دائمين أبدا ، كلما أشرق نهار وأعتم .

أما بعد

فلما كانت وظيفة علم الكلام دراسة الأحكام الاعتقادية التى جاءت بها الشريعة الإسلامية باعتبارها هي الأصول التي تقوم عليها سائر أحكام الدين شريعة وأخلاقًا، كان لابد من اعتماده على مصدري الكتاب والسنة، وبالرغم أنه إلهي المصدر –ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقل للبرهنة عليه، ومن هنا نرى أن العقيدة الإسلامية تحتاج في فهمها وتصديقها والعمل في ضوئها إلى النقل والعقل معا.

ونظرًا لتعرض العقيدة الإسلامية لصور التشكيك والتشويه في مبادئها وأسسها على مر العصور وحتى وقتنا الحاضر، إلا أن الله قيّد لها مِن العلماء مَن يُبينها، ويذب عنها، ويدحض الشبه الدخيلة عليها، وهذه الطائفة هم العلماء.

و كان من هؤلاء العلماء الإمام (الشافعي) الذي فهم العقيدة من منبعها الصافي، ولما كانت آراؤه من الأهمية بمكان سار فيها بمنهجه العلمي الذي يمزج بين النقل والعقل، كانت الحاجة ماسة للكشف عن جهوده ومنهجه، وأثره في علم الكلام.

بادئ ذي بدء، لا امتراء في أن للإمام (الشافعي)–رحمه الله –مكانته الكبيرة، فإنه لا يخفى على شداة العلم، وطالبيه ما للإمام الشافعي من مكانة



علمية موسوعية؛ فهو عالم نحرير من جلّة المشاهير، فتّق أكمام تلك العلوم، وطفق يجمعها من أطرافها، وقد تبدى أثره الفذ على مسيرة العلم الإسلامي بفروعه المختلفة: عقيدة، وفقهًا، وأصولًا، ولغةً، وقد تعددت الجوانب العبقرية، ومناحي التجديد عنده، فكان له إسهاماته البارزة في تأسيس العقلية الإسلامية، ومنهجية النظر، وكيفية التعامل مع الأدلة الشرعية، وأسس الاستنباط منها، فكما كان له باع في الفقه وأصوله، كذلك كان صاحب رأي ورؤية في أصول الدين، وذلك لما بين العِلمين من صلة وطيدة، وحسب كل باحث أن يسرح نظره في مؤلفاته، ولو بنظرة عجلى ليدرك ذلك .

وبالرغم من أن مذهب (الشافعي) اشتهر في الفقه وأصوله؛ إلا أنه مذهب متكامل يجمع بين الاعتقاد والفقه، أو ما يسمى بالأحكام العلمية والأحكام العملية، فهو من مجددي القرن الثاني الهجري، وما علم أصول الفقه الذي أسسه إلا تطبيق عملي للمنطق والاستدلال العقلي في البيئة الإسلامية.

هذا وقد أشيع عن (الشافعي) أنه نحى منحى الرفض لعلم الكلام، واستُدل بكلامه لتنفير الناس منه، غير أن المتتبع لكلام الشافعي يجد حقائق تناقض تمامًا ما أشيع عنه، فآراؤه وإسهاماته الكلامية، ومناظراته في مسائل علم الكلام، المبثوثة في كتبه وكتب المناقب عنه خير دليل على ذلك .

ولأهمية هذا الموضوع – الذي دار حوله الجدل المعرفي، والخلاف الفكري– وجدواه وبعدما اختبرته، وسبرته جدّ في ذلك عزمي، وركبت جديلتي على أن أتناول هذا الموضوع تحت عنوان : (الإمام الشافعي وأثره في علم الكلام ... دراسة تحليلية) أردت فيه أن آخذ أخذتي، وأتتبع ما جاء فيه من آراء، وأدلى بدلوي فيه مُبرزًا تأصيل الإمام (الشافعي) لفكرة الجمع بين أهل الأثر وأهل الرأي، أو الجمع بين النقل والعقل في علمَيْ أصول الدين، وأصول



الفقه، وأثر ذلك على من جاء بعده في علم الكلام سيما الفكر الأشعري.

ويبقى أن أُلْمِع أن البحث لم يتسرح استقصاء كل ما ورد عند الإمام الشافعي في علم الكلام ، وهو في مظانه منبسط، ولست في سعة من ذكره، ذلك لأنه بعيد السربة عن نهجة البحث، كما أن ذلك مما يؤوده، ويفوت عليه غايته، مكتفيًا بأمثلة دالة، وفيما ذكر غناء عن ما لم يذكر، وعليه يقاس.

أسباب اختيار الموضوع :

كان مما أثار حفيظتي لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب أهمها :

أولاً : الدافع الذاتي: وهو الرغبة في إبراز الجانب العقدي لدى الإمام (الشافعي) رحمه الله .

ثانيًا : ما لاحظته من اتجاه يهاجم علم الكلام، ويكاد يحرمه، ويستند إلى بعض روايات للإمام (الشافعي)، فأردت أن أبين موقفه من علم الكلام لمعرفة أي علم كلام كان يقصد ، ومن ثم ما إن كان من مادحيه، أو ناقديه.

ثالثًا : بيان جهود الإمام (الشافعي) وآرائه وطرق استدلاله في إثبات بعض القضايا الكلامية؛ فهو يعد – رحمه الله– مصدرًا أمينًا في فهم العقيدة الإسلامية؛ حيث إنه من أهل القرون الثلاثة الأول أي من سلف هذه الأمة الإسلامية.

رابعًا : رغبتي في تتبع جذور الفكر الأشعري، وبيان الأثر الكلامي للإمام (الشافعي) عليه .

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في الأمور التالية :

١– بيان الحالة الفكرية في عصر الإمام (الشافعي)، وأثرها فى المماحكات، والمناظرات الكلامية.



٢- إبراز التوافق بين ما ورد عن الإمام (الشافعي) من ذمٍ لعلم الكلام، وبين الإسهام فيه.

٣- إظهار الجانب الكلامي عند الإمام (الشافعي)، وحنكته فى المناظرات الكلامية.

٤- الكشف عن أثر منهج وآراء الإمام (الشافعي) فى علم الكلام على الفكر الأشعري اللاحق له.

إشكالية البحث :

تضوّأ البحث في إشكاليته بالإجابة عن طائفة من التساؤلات مؤداها :

كيف نوفق بين النصوص الواردة عن الإمام (الشافعي) فى ذم علم الكلام، وبين ما أثر عنه من آراء كلامية؟ وهل للإمام (الشافعي) آراء ومناظرات عقدية كما كانت له آراء ومناظرات فقهية ؟ وهل أثّر منهج الإمام (الشافعي) الكلامي فى علم الكلام عند أهل السنة فيما بعد؟

من خلال هذا البحث تكون الإجابة عن هذه التساؤلات إن شاء الله تعالى.

حدود البحث:

سلكت فى ذلك تتبع كلام الإمام (الشافعي) حول علم الكلام، وموقفه من قضايا العقيدة بالتحليل والمناقشة، فالبحث يتناول الجانب الكلامي في فكره، ومناظراته الكلامية ، من خلال مؤلفاته، وكتب المناقب، وأثر ذلك في علم الكلام عند أهل السنة بعد ذلك.

منهج البحث :

آذَنت طبيعة البحث الاتكاء على عدة مناهج لمعالجته تتمثل فيما يلي:

١- المنهج التاريخي: (الاسترددي): فقد اعتمدت عليه في رصد الأفكار،



والآراء من مصادرها – قدر المستطاع – مما يؤكد الأفكار الرئيسة فى البحث.

٢- المنهج التحليلي: واستخدمته في تحليل آراء الإمام (الشافعي) من خلال نسقه الفكري ، وهذا المنهج يساهم فى عملية التقييم والنقد .

٣- المنهج المقارن: واستخدمته فى مقارنة أفكار الإمام الشافعي بآراء اللاحقين له وأثرها عليهم

خطة البحث:

حتمت مادة البحث، أن يُصدّر بمقدمة، تقفوها مدخل ،وثلاثة فصول موصدة بالخاتمة.

المقدمة : تشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإشكالية البحث، وحدود الدراسة ،ومنهج البحث، وخطته .

المدخل : حياة الإمام الشافعي وعصره.

الفصل الأول : موقف الإمام الشافعي من علم الكلام.

المبحث الأول : علم الكلام وموقف الإمام (الشافعي) منه .

المبحث الثاني : التوفيق بين ما أُثر عن الإمام (الشافعي) فى ذم علم الكلام وبين الأخذ به .

الفصل الثاني : أبرز قضايا علم الكلام عند الإمام (الشافعي) .

المبحث الأول : الاستدلال على وجود الله و صفاته .

المبحث الثاني : مسألة خلق القرآن.

المبحث الثالث : مسألة رؤية الله تعالى فى الآخرة.



المبحث الرابع : مفهوم الإيمان .

المبحث الخامس : القدر وأفعال العباد.

الفصل الثالث : المنهج الفكري عند الإمام (الشافعي) وأثره في علم الكلام .

المبحث الأول: مقومات المنهج الفكري عند الإمام (الشافعي) .

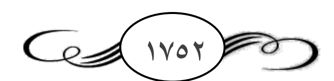
المبحث الثاني : أثر منهج الإمام (الشافعي) في الفكر (الأشعري).

الخاتمة : وتشتمل علي أهم نتائج البحث، والتوصيات.

وحسبي من هذه المقدمات، لتناول الموضوع وبحثه، وما يعسر علي أن أُمسك طرف الخيط فأصل إلى آخره .

و أسأل الله الهداية والإخلاص في العلم والعمل، وأرجو من الله تعالى في هذا البحث محاولة الاجتناب للخطأ فالخير ابتغيت، والحكمة أردت، وإلى الحق سعيت، وما أُوتيت من العلم إلا قليلاً، **وما توفيقي إلا بالله.... وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل.**





المدخل : حياة الإمام الشافعي وعصره

بالاطلاع على سيرة الإمام (الشافعي)، وعصره كفيل أن يكشف عن تكوينه العلمي، وتوجهه الفكري، وموقفه من علم الكلام، ووفق هذا المنهج المناسب لدراستنا، التي تهتم بآرائه العقدية، ومنهاجه في بحث مسائلها يكون الحديث عن الإمام (الشافعي) .

عُرف الإمام (الشافعي) –رحمه الله– بموسوعيته العلمية، فقد تكلم في علوم كثيرة كالقرآن الكريم وعلومه، والسنة وعلومهما، والفقه وأصوله، واللغة العربية، والعقيدة الإسلامية، وله مناظرات وحوارات مع مخالفيه؛ فكان خير مناصر للحق والسنة، فهو" الإمام الذي لا يُجاري، والفحل الذي لا يقاوم "(١)؛ فشهدت له الأمة وعلماؤها بالإمامة، والحنكة العلمية.

أولاً : حياة الإمام (الشافعي) نشأته ومكانته العلمية.

اسمه ونسبه :

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي بن عبد المطلب بن مناف، ويجتمع مع النبي (ﷺ) فى عبد مناف بن قصي (٢) ولد– رحمه الله– سنة خمسين ومائة للهجرة، وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة، وخرج أبوه من موطنه مكة نحو غزة فولد له ابنه محمد، ثم عادت به أمه إلى مكة وهي يمانية من الأزد(٣).

---

(١) أبو المظفر السمعاني، (ت:٤٨٩هـ)، الانتصار لأصحاب الحديث (المدينة المنورة: مكتبة أضواء المنار، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، ص: ٨، ٩.

(٢) ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٢م) ص: ٦٦.

(٣) ابن عبد البر، الانتقاء، ص:٦٦، أبو نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت:٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤) ٦٧/٩.



يُنسب إلى الصحابي شافع بن السائب [١]، ويكنى بأبي عبد الله الشافعي[٢]، ولقّبه أهل بغداد بناصر الحديث [٣].

أما عن مكان مولده : ففيه روايات متعددة كان أرجحها ما ذهب إليه (الذهبي) حيث إنه يجمع بين الروايات، ويضم رأي (ابن حجر) إليه قال الحافظ ابن حجر: "فالذي يجمع بين الأقوال: إنه ولد بغزة عسقلان، ولما بلغ سنتين حولته أمه إلى الحجاز، ودخلت به إلى قومها، وهم من أهل اليمن لأنها كانت أزدية فنزلت عندهم فلما بلغ عشرًا خافت على نسبه الشريف أن يُنسى، ويضيع فحولته إلى مكة "[٤]

استظهر القرآن في صباه، ثم خرج إلى قبيلة هذيل بالبادية، وكانوا من أفصح العرب، فحفظ كثيرًا من أشعارهم، ثم عاد إلى مكة، وقد أفاد فصاحة وأدبًا[٥] .

توفي رحمه الله تعالى سنة أربع ومائتين، في آخر يوم من رجب يوم الجمعة، وهو ابن نيف وخمسين سنة [٦].

---

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ٦٠٦/٢.

(٢) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت:٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط- (طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ٥/١٠.

(٣) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، (طبعة حيدر آباد، ١٣٢٧هـ) ٢٦/٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠/١٠، وانظر ابن حجر، توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، تحقيق: عبد الله محمد الكندري، (دار ابن حزم: ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص:٥٢.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٦/٩

(٦) ابن حجر: توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس، ص:١٧٧



أبرز شيوخه :

"طاف (الشافعي) البلاد لطلب العلم، وأخذ عن نخبة من العلماء من شتى الأمصار، فقد لزم مكة المكرمة وقرأ على (مسلم بن خالد الزنجي ت ١٧٩هـ)، وأخذ عن (سفيان بن عيينة)، وتتلمذ على يد (جعفر الصادق)[(١)]"، ومن المدينة المنورة أتى الإمام (مالكا) فقرأ عليه الموطأ [(٢)]، ومن العراق: أخذ العلم عن أصحاب الإمام (أبى حنيفة) وعلى رأسهم محمد بن الحسن [(٣)]، وكان الشافعي بطبعه نهمًا في العلم، يلتمس كل ما يجده من فنون، واشتغل بالفراسة حين ذهب إلى اليمن" [(٤)] وغيرهم.

أشهر تلاميذه :

أخذ عن الإمام (الشافعي) –رحمه الله–" الحُميدي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وأبو يعقوب يوسف البويطي، وحرملة بن يحيى، وإسحاق بن رَاهُويه، ويونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان المرادي، وخلق سواه" [(٥)]

فأفاد بتأليفه، وتدريسه، وما جادت به قريحته من نتاج علمي طلاب العلم، والمعرفة، فما زال علمه نهر لا يجف .

مكانته العلمية :

كان الإمام (الشافعي) من أكبر أئمة المسلمين علمًا، وعملًا، واتِّباعًا، وهو

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٧٧/٨،

(٢) ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، (سوريا: دار الرشيد، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص:٥١٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١/١٠.

(٤) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي، معجم الأدباء، تحقيق/ إحسان عباس- (بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط ١، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ٣٨٠/٦.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/١٠، تاريخ بغداد ٢/٥-٧.



أحد الأئمة الأربعة، وأول من صنف في أصول الفقه، ومن تصانيفه: كتاب الأم، رسالة في أصول الفقه، سبيل النجاة، ديوان شعره وغير ذلك [١].

ولو أردنا أن نعدد أقوال العلماء في الثناء على (الشافعي) لوجدنا أن العلماء من بعده عيال عليه، حيث بلغ الإمام مرتبة متقدمة في العلم، وأثنى عليه تلاميذه، وجهابذة علماء عصره ومن تلاهم من العلماء، والحُفَّاظ "قال: عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت: لأبي يا أبت، أي رجل كان الشافعي؟ فإني أسمعك تكثر الدعاء له، فقال: يا بني كان الشافعي –رحمه الله –كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف، أو منهما عوض" [٢] .

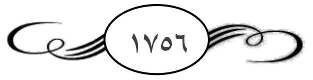
ووصفه الإمام (أحمد بن حنبل) – رحمه الله – بالفيلسوف، فهو يُعد فيلسوفًا ربانيًا، فمن عبارات المدح الباعثة على التأمل، والمنسوبة لأحمد بن حنبل قوله: " الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف الناس، والمعاني، والفقه" [٣].

ووجه التعجب من هذا الوصف استعمال لفظة الفيلسوف في سياق المدح من إمام سلفي كبير، عرف بالاتباع والتمسك بالسنة، وربما قصد (أحمد بن حنبل) بالفيلسوف هنا المعنى العرفي العام، وهو الشخص ذو العقلية الكبيرة، والقادر على الإبداع، والإتيان بما لم يُسبق إليه من قبل، بما يعني أن المدح هنا ليس متوجها إلى

(١) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت:٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ٥٦/٢-٧٣، ابن أبي حاتم الرازي: (ت: ٣٢٧هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، (لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)،

(٢) الفخرالرازي، مناقب الإمام الشافعي، تحقيق أحمد حجازي السقا، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ،ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص:٣٥.

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، تحقيق: أحمد صقر، (القاهرة: مطبعة دار التراث، ط١، ١٩٧١م) ٤٢/٢، ابن حجر، توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس، ص: ٨٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٨١/١٠.



"مجرد علم الشافعي بهذه المسائل، بل ما وراء ذلك من الغوص فى الأسرار، وعمق اللغة، والإحاطة بالفقه"(١)، ولا غرابة أن يكون (الشافعي) رحمه الله بذلك فيلسوفًا.

ولعل هذا يخفف من غلواء النظرة المتشددة للفلسفة كعلم، فليست رديفًا للإلحاد، أو الشك المطلق كما يتوهم البعض، بل هي التأمل الذي يتجاوز السطح إلى الأعماق، والتساؤل الذي يمد البصيرة بالنور والإشراق.

وقد بلغ إعجاب الإمام (أحمد بن حنبل) بالإمام (الشافعي) إلى درجة أنه ارتأى فيه ما وعد به النبي – صلي الله عليه وسلم – كما في الحديث المشهور: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(٢)؛ وذلك لأنه قام بفك المُشْكَل المعضل بين ظواهر النصوص، وأجاب عن الأسئلة الجديدة التي لم تطرح من قبل، ووضع قواعد الاستنباط، والتعامل مع النص قال أحمد بن حنبل: فكان في المائة الأولى: عمر بن عبد العزيز، وفي المائة الثانية: الشافعي، قال أبو عبد الله: وإني لأدْعُو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي»(٣)، واعترف بفضله كل طالب علم فقال الإمام أحمد :"ما أحد مَسَّ محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه مِنَّة"(٤) .

واعتبره الإمام (الفخرالرازي) أول من صنف في أصول الفقه، حيث قال: "واعلم أن نسبة الشافعي إلى أصول الفقه كنسبة أرسطو طاليس إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض". (٥)

---

(١) أبو زهرة، الشافعي، حياته عصره وآراؤه الفقهية ، (دار الفكر العربي)،ص: ١٤٧.

(٢) رواه أبو داود ، كتاب: الملاحم،باب : ما يُذكر فى قرن المائة، برقم (٤٢٩١)، والحاكم فى المستدرك (٥٢٢/٤).

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، (١/ ٥٤)، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت:٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ٣٣٩/٥١، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص:٢٥٣.

(٤) ابن حجر: توالي التأسيس، ص: ٥٧.

(٥) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص: ٩٨.



وقد دافع عن الحديث وأهله، وعلمهم فنون النظر والاستدلال، ومن ثم استحق واحدًا من أشهر ألقابه التي عرف بها، وهو"ناصر الحديث".[1]

كان العلماء في عصر (الشافعي) شديدي التعظيم له، فكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا، التفت إلى الشافعي، فيقول: سلوا هذا، وكان يجله ويعظمه [2]" .

وهذا غيض من فيض في ثناء العلماء عليه، لكن البحث لا يتسع لذكر جميع أقوال العلماء.

ثانياً: **عصر الإمام الشافعي والعوامل المؤثرة فى فكره** :

عاش الامام (الشافعي) -رحمه الله- في الفترة من (١٥٠ -٢٠٤هـ) أي فى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري إلى نهايته، تحت حكم العباسيين، حيث عُرف هذا العصر بقوته، وسطوة حكامه، وقد كانت فيه نزاعات سياسية أخذت منعطفًا خطيرًا بعد مقتل (علي بن أبى طالب) رضى الله عنه، فضلا عن الخلافات، والصراعات المذهبية التي كانت على أَشُدِّها، أدى ذلك إلى نضج معظم العلوم الشرعية، والطبيعية؛ فأعطت ثمارًا يانعة.

وعلى إثر هذا التمزق السياسي، والصراع الفكري والجدل العقدي تم طرح عدة إشكالات أصبحت فيما بعد المنطلق الأساسي للفرق الكلامية المختلفة، ومن بين هذه الإشكالات : قضية مرتكب الكبيرة، وقضية خلق القرآن، وقضية أفعال العباد، فتحولت على إثر تلك الاختلافات الأحزاب السياسية إلى فرق دينية، فالحزب المُوالي (لعلي بن أبى طالب) تَحوَّل إلى فرقة (الشيعة)، وحزب الخوارج تحول إلى فرقة (الخوارج)، والذين رفضوا

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي ٢/ ٢٤٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٧.



تعيين الفئة الباغية وأرجأوا كل ذلك إلي الله كونوا فرقة (المرجئة)، وظهرت فرقة انشقت عن مجلس (الحسن البصري ت ١١٠هـ)، وهى الفرقة التي عرفت فيما بعد باسم (المعتزلة)، وظهرت المشبهة والمجسمة...

هذه الاتجاهات الفكرية المتعددة كانت عبارة عن انعكاس مفهوم البشرية للوحي، فبرز على إثرها علم الكلام، واتضحت خطوطه العريضة من خلال أمهات الموضوعات التي يدور حولها الجدل بشكل واضح مع نشاط حركة الترجمة، وقد تربع على عرش علم الكلام هذه الفترة مدرسة (المعتزلة) التي كان علماؤها رواد بحث عقلي ونظر فى القرآن والسنة، واستطاعوا أن يظفروا – فى أوج ازدهار علم الكلام – بتأييد السلطة السياسية لهم.

وكانت أشهر قضية كلامية أثارت جدلاً كبيرًا فى ذلك الوقت، واستغرقت كثيرًا من الجهود، فكرة خلق القرآن التي قال بها (المعتزلة) وآمن بها (المأمون) ومن جاء بعده، وحملوا الناس عليها، وعارضهم فيها علماء أهل السنة والحديث فلحقهم من جرّاء ذلك اضطهاد، وعنت كبير قال القرطبي: "والتبس الأمر على السلطان حتى قال الأمير بخلق القرآن، وجبر الناس عليه، وضُرب أحمد بن حنبل على ذلك"[١]

وما ذلك بغريب فعلى مر العصور تتفاعل أحداث السياسة والأحوال الاجتماعية والحركة الفكرية، ليصنع الجميع طابع العصر أظهر ما يكون فى مناهج التفكير والحركة الثقافية ،

وإن الإمام (الشافعي) ما كان له أن يغفل عن مكونات هذه الحركة الفكرية من الجدل والمناظرات، وكذلك الفرق المختلفة ، وظهر علم الكلام ثمرة لها .

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، الرياض، ط، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م)، ٢/ ٢١٣.



لذا يجدر بنا التعرف على موقفه من مكونات هذه الحركة الفكرية، وفى ذلك تمهيد لحديثه فى العقائد وموقفه من علم الكلام .

والناظر إلى هذا العصر يجد أنه امتلأ بالحراك الذى شمل شتى المناحي، ومن ثم أفضى إلى ملامح أبرزها :

أ- وجود أجناس غير العرب أثرت فى الحياة الاجتماعية، والفكرية -خاصة الفقه لارتباط العلوم الشرعية بالحياة الاجتماعية- كما كان سببا فى تدوين العلوم الشرعية، والعربية للحفاظ على لغة القرآن وهذا ما روي عن الشافعي "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس" (١).

ب-وجود حركة فكرية حرة: تمثلت فى مظاهر عديدة، كحركة الترجمة التي شجعها خلفاء بني العباس أدخلت إلى الثقافة الإسلامية أفكارًا جديدة عن طريق ما ترجم عن الفارسية، أو اليونانية تحمل عقائد يهودية وأخرى نصرانية، مما كان لها أثر فى وجود آراء متعددة بل وربما متضاربة حول مسائل حسمها الإسلام في باب العقائد أصبحت مندرجة في باب الرأي والاجتهاد.(٢)

ظهرت فى هذه الفترة طائفة تظاهرت بوجه الإسلام للنيل منه، وذلك بتشكيك المسلمين فى دينهم، وطائفة أخرى دخلوا إلى الإسلام وهم يحملون أفكارًا من ثقافاتهم التي تناوىء المباديء الإسلامية، فظهر ما يسمى بالزنادقة وغيرهم، وقد واجه العباسيون ذلك بدعم فرقة المعتزلة لمحاجة خصوم الإسلام .

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق: د. علي سامي النشار، والسيدة سعاد علي عبد الرازق، (مجمع البحوث الإسلامية)، ص:١٥.

(٢) د. أبو اليزيد العجمي، فقه العقيدة عند الشافعي وأحمد الموقف والمنهاج (القاهرة: دار الصحوة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م)، ص:١٢٨.



يحفظ التاريخ جزءًا مما جادل به المعتزلة خصومهم من المجوس، والثنوية، وكذلك الرافضة كما كان اختلاف منهج المعتزلة عن منهج الفقهاء في بحوث العقيدة دافعًا لمجادلات بين الفقهاء والمحدثين من جهة، والمعتزلة من جهة أخري، كما ظهر أكثر ما ظهر في مسألة خلق القرآن وموقف كل فيها"[١]

ج- ازدهار حركة التأليف في العصر العباسي؛ حيث ألفت كتب في العلوم الإسلامية، ودوّن علم الكلام في سنة ١٣١هـــ، فألف فيه أهل الفرق مثل واصل بن عطاء (وله كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب التوحيد) وعمرو بن عبيد ت١٤٢هـــ [٢] وألفت فى هذا العهد كتب فى العقائد لأهل السنة مثل كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة النعمان ت ١٥٠هـــ وكتاب (العالم والمتعلم) المنسوب له أيضًا وقد صرح فيهما بأكثر مباحث علم الكلام ومثل "الفقه الأكبر"[٣] المنسوب للشافعي ت ٢٠٤هـــ " [٤]، فضلا عن باقي الفرق كالشيعة والخوارج والمرجئة ، وغيرهم الذين دونوا أفكارهم، مما أسفرعن علم ثري بالجدال والمناظرات حول قضايا العقيدة، فبرز بذلك علم الكلام، واختصم الناس حوله ما بين مؤيد لوجوده، و معارض له ظنًا منه أنه يفسد العامة، ويُخشى على الخاصة من آثاره.

د- ظهور علم الكلام والجدل في العقائد الدينية: فقد كان البحث فى العقائد قبل العباسيين يسمى بالفقه الأكبر، ثم "طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حيث نشرت أيام (المأمون)، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وأفردتها فنًا من فنون العلم وسمتها باسم الكلام" [٥] حيث كان الكلام فى بعض قضايا العقيدة من

---

(١) الشيخ. محمد أبوزهرة، تاريخ الجدل، (ط/ دار النشر العربي، ط١(١٩٣٤م)، (٢٤٠).

(٢) الشيخ. مصطفي عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية،ص: ٤١٨ بتصرف.

(٣) لم أعتمد عليه في البحث؛ لأن أغلب الباحثين يشككون في نسبته للإمام الشافعي

(٤) الشيخ. مصطفي عبد الرازق: التمهيد،ص: ٤١٨.

(٥) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني جزءان، وحقق: عبد العزيز محمد الوكيل ثلاثة أجزاء، ط مؤسسة الحلبي وشركاه، ط١ (١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م)، ٢٢/١.

قِبل الصحابة والتابعين دون جدل، أو افتعال ثم حدث فى آخر عصر الصحابة أحداث ولَّدت فرقًا كالخوارج، والشيعة، والمرجئة، وتجمعت هذه حول قضايا معظمها غير ديني بالمعنى الاعتقادي، وسمي هذا العلم علم الكلام، وسمي المشتغلون به المتكلمون " (١)

وفي عصر الشافعي اشتد الخلاف والجدل بين أصحاب (مدرسة الحديث) فى المدينة المنورة، وأصحاب (مدرسة الرأي) فى العراق، فشاعت المناظرات والجدل بين مناهج التفكير المختلفة .

وفى باب العقائد "كان اختلاف منهج المعتزلة عن منهج الفقهاء فى بحوث العقيدة دافعًا لمجادلات بين الفقهاء والمحدثين من جهة، والمعتزلة من جهة أخرى كما ظهر أكثر ما ظهر فيه مسألة خلق القرآن وموقف كل فيها"(٢) وكان موقف خلفاء بني العباس من الوضع الفكري واتجاهاته بارزًا، حيث ذهب بعضهم لنصرة بعض الآراء لدرجة التعصب، وفرضها علي الناس بالقوة.

نخلص إلى أن عصر الشافعي كان عصر الحركة الفكرية الحرة، وأن الشافعي ما كان له أن يغفل عن مكونات هذه الحركة الفكرية من الجدل والمناظرات، وكذا الفرق المختلفة، فظهر علم الكلام ثمرة لها، وقد عُرف عن الشافعي إسهامه فى عدة مناظرات بعضها فى الفقه، وبعضها فى الفقه الأكبر، و تميز بقدرته على امتلاك أدوات المناظرات فيهما عالمًا بالأدلة، وفطنًا فى استخدامها.

فإذا كان هناك ذم لعلم الكلام وذم لأهله فهم يقصدون المعتزلة بالدرجة الأولى، حيث إنهم أعطوا العقل حريته المطلقة في البحث والنظر، واتجاهه إلى أي جهة يراها مما استلزم الخلاف بين الفقهاء وعلماء الكلام.

---

(١) محمد الأنور السنهوتي، مدخل إلى علم الكلام،(دار الثقافة العربية،١٩٩٠م) ص: ١٠.

(٢ محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، (ط/ دار النشر العربي، ط١(١٩٣٤م) ص:٢٤٠.



إن ترجمة هذا الإمام العلم، والجبل الأشم رضي الله عنه تعالى عنه وطَيَّب ثَراه وسَقَى جَدَثَهُ مما يُعجِز الكُتَّاب؛ لسعة فضله، وتعدد شمائله، وقد اكتفيت بهذه النبذة كي لا تطول مقدمة البحث، وتخرج عن قصدها، واكتفيت بذكر المصادر المطولة لمن أراد أن ينهل من سيرة هذا الحبر الكبيرعلمًا وأدبًا.

الفصل الأول : موقف الإمام الشافعي من علم الكلام

المبحث الأول : علم الكلام وموقف الإمام الشافعي منه

المطلب الأول : تعريف علم الكلام

قبل أن ننظر إلى موقف الإمام (الشافعي) من علم الكلام يحسن بنا أن نحدد أولاً مفهوم علم الكلام، ومقاصده كما بَينه أئمتنا من أهل السنة ممن اشتغلوا في القضايا العقدية.

حيث دأب الباحثون في علم الكلام على أن يُصَدِّروا دراستهم بتعريف هذا العلم، وسبب تسميته، وموضوعه، وعوامل نشأته لذا يقتضي البحث الإشارة إلى تعريفه بإيجاز كمدخل لازم للدارسة.

الكلام لغة : فهو الأصوات المفيدة، وعند النحاة: "الجملة المركبة التي تكتفى بنفسها، أو العبارة التامة المعنى"(١)، أي أن الكلام هو: اللفظ والقول الدال على معنى يحسن السكوت عليه.

أما فى الاصطلاح : فقد تعددت تعاريف العلماء لعلم الكلام:

عرفه الفارابي بقوله:"وصناعة الكلام يقتدر معها الإنسان على نصرة الآراء، والأفعال المحددة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل "(٢)

ومن العلماء من جعله مقتصرًا على من تتفق آراؤه مع عقائد أهل السنة فقد عرفه الإمام الغزالي بقوله: "بأنه علم مقصود به حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة. (٣)

---

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، المعجم الوسيط (ط/ دار الدعوة، ط٥ ،٢٠١١م)،ص: ٧٩٦.

(٢) الفارابي، أبو نصر محمد الفارابي (ت٣٣٩هـ)، إحصاء العلوم، تحقيق د. عثمان أمين (مكتبة الخانجي،١٣٥٠هـ) ص:٧١ ،٧٢.

(٣) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق د. عبد الحليم محمود، (ط٦، سنة ١٩٧٨)، ص: ٨٢



ثم يبين الغزالي غاية علم الكلام بأنه :" حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف لا غير"[١]، وهو بذلك يجعل المشتغل به هدفه اثبات العقائد التي تتفق مع أهل السنة والدفاع عنها.

و قد وافق (ابن خلدون) الإمام (الغزالي) فيما ذهب إليه موضحًا الغاية من علم الكلام فقال في تعريفه :"هو علم يتضمن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[٢] .

ومنهم من جعله أوسع دائرة بحيث يشمل عقائد أهل السنة، وغيرهم من الفرق المخالفة لهم، فقد عرَّفه (عضد الدين الإيجي) بقوله: " هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه ثم قال: والمراد بالعقائد: ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية: المنسوبة إلى دين محمد (ﷺ)، فإن الخصم وإن خطّأناه لا نخرجه من علماء الكلام "[٣] .

فهو (علم الكلام) يقوم بمهمتين، الأولى إثبات هذه العقائد، والثانية دفع الشبه عنها، والوسيلة هي الحجج من البحث، والنظر، والاستدلال العقلي، ويتضمن التعريف لعلم الكلام "أن المتكلم يتخذ العقائد الدينية قضايا مسلمًا بها ثم يستدل عليها بأدلة العقل "[٤] .

---

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (ط/ دار المعرفة بيروت، ط١(١٤٣٢هـ) ٤٠/١.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحاده، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، ط٢(١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م). ص: ٤٢٣.

(٣) الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (ت: ٧٥٦ هـ)، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (بيروت: دار الجيل، ط١(١٩٩٧م)، ص:٧.

(٤) أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، (الأسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٩٢م) ١٦/١.

ويلاحظ من التعريف أنه قال اثبات العقائد ولم يقل تحصيلها؛ لأنها مأخوذة من الشرع لذا قال السيد (الشريف الجرجاني): "اختيار اثبات العقائد على تحصيلها اشعار بأن ثمرة الكلام اثباتها على الغير، وبأن العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع ليعتد بها، وإن كانت مما يستقل العقل فيه"(١).

ويلاحظ من تعريف (الإيجي) لعلم الكلام أنه يقصد به عقائد الأمة مجتمعة، وليس عقائد فرقة بعينها، فيشمل عقائد أهل السنة، ومخالفيهم.

فهذا العلم يعتمد على البراهين العقلية فيما يتعلق بالعقائد الإيمانية، ويعطي للمرء القدرة علي دفع المطاعن، والشبهات عن العقيدة.

ويعرفه (طاش كبري زاده) بأنه:"علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها ثم يقول: وبالجملة يشترط في الكلام أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل وأن تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسنة. ولو فات أحد هذين الشرطين لا يسمى كلاما أصلا"(٢)

ومما سبق ذكره يتبين وظيفة علم الكلام، أوعلم التوحيد عند أهل السنة، وأنه حجج منطقية عقلانية لدفع شبه المبتدعين، وتثبيت عقائد أهل السنة... وحِمايتها ضد أي تشكيك... وبالتالي لا يمكن لعاقل أن يذم مثل هذا العلم.

---

(١) الجرجاني: (شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري)، وعليها حاشية الفناري: حسن جلبي بن محمد شاه الفناري الحنفي (ت٨٧٩هـ)، وحاشية السِّيالْكُوتي: عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي (١٠٦٧هـ)، ط١/على نفقة الحاج محمد أفندي، ط/ السعادة بجوار محافظة مصر(١٩٠٧م)، ص:١١.

(٢) طاش كبري زادة، المولى عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل، (ت ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) ٢/١٥٠.



تكاد التعريفات التي أوردناه تجمع على بيان منهج علم الكلام في توظيف العقل لبيان العقيدة، والدفاع عنها ضد المشككين والملحدين، ومن هذا المنطلق انبرى بعض علماء الإسلام –من الفقهاء– فى الذَّب عن العقيدة الإسلامية فناظروا المعارضين في بعض قضايا العقيدة، وفق منهج عقلي نقلي، ومن هؤلاء (الإمام الشافعي).

المطلب الثاني : موقف الإمام الشافعي من علم الكلام

اختلفت مناهج البحث في النظرة إلى علم الكلام، فنجد اتجاه يذمه، ويحذر من الأخذ بمنهجه، واتجاه آخر يمدحه و أهله.

وقد شاع عن (الإمام الشافعي) ذمه لعلم الكلام، وتحذيره منه، وأُخذت بعض هذه الروايات على عمومها، وظاهرها دون فهم لمدلول ألفاظه، ومقصده من إطلاق تلك العبارات، والظروف التاريخية التي قيلت فيها، والأسباب التي حملته على التعبيرعن تلك المواقف ليجعل (الشافعي) من المانعين للخوض في علم الكلام، وفى الوقت ذاته نجد له أقوال تفيد اهتمامه بهذا العلم، وتَمكُّنه من أدواته، من أجل ذلك لابد أن نضع الروايات التي ظاهرها ذم علم الكلام في سياقها، والأسباب التي دعته للقول بها من أجل الوصول لفهم متوازن وصحيح .

وردت روايات عن الإمام الشافعي يفهم منها ذمه لعلم الكلام، واعتباره من البدع وكراهيته لأهله، فقد كره (الشافعي) أن يشتغل بما اشغل به المتكلمون – في عصره– وفق منهجهم، وعبّرعن كراهيته لذلك بقوله:"ما شيء أبغض إلى من الكلام وأهله"(١)

وقال الربيع سمعت الشافعي يقول:" رأيي ومذهبي في أصحاب الكلام: أن يضربوا بالجريد ، ويجلسوا علي الجمال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم، هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأخذ في الكلام"(٢) .

ولعل هذا الموقف الذي أعلنه (الشافعي) من كراهيته للخوض في مسائل هذا العلم هو الذي جعله يقول:"ما ناظرت أحدًا في الكلام إلا مرة وأنا أستغفر الله

---

(١) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ابن العماد العَكبري الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق/ محمود الأرناؤوط- (بيروت: ط/ دار ابن كثير، دمشق، ط١(١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، ٩/٢.
(٢) ابن خلدون: المقدمة ١٠٨٨/٣، البيهقي: مناقب الشافعي،٤٦٢/١.



من ذلك"[١]، ويؤكد ذلك عبد الله بن أحمد بن حنبل حين قال: سمعت أبي يقول:"كان الشافعي إذا ثبت عنده الخبر قلده، وخير خصلة كانت فيه لم يكن يشتهي الكلام، وإنما همَّته الفقه"[٢] .

لم يكن موقف الشافعي اتباعا للهوى بل عن دراية تامة بهذا العلم، ومعرفة باتجاهاته –كما سيأتي– الأمر الذي جعله يُعلن كراهيته أن يخوض في هذا العلم، أو أن يُستدرج إليه.

كذلك ما جاء عن الإمام الشافعي في بيان خطورة الخوض فى علم الكلام.

فعن المزني قال:" لما وافى (الشافعي) مصر قلت في نفسي: إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وتعلق به خاطري من أمر التوحيد فهو، فصرت إليه وهو جالس في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه قلت له: إنه قد كان في ضميري مسألة في التوحيد فقلت: إن أحدًا لا يعلم علمك فما الذي عندك؟ فغضب ثم قال لي: أتدري أين أنت جالس؟ قلت: نعم أنا جالس بفسطاط مصر في مسجدها بين يدي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي قال: هيهات إنك بتاران– تاران في بحر القلزم يقال: فيها غرق فرعون وقومه – وجنبلان يضربك تياره وأنت لا تعلم، وهذا هو الموضع الذي غرق فيه فرعون أَبَلَغكَ أن رسول الله (ﷺ) أمر بالسؤال عن ذلك؟ فقلت: لا، فقال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا. فقال لي: تدري كم نجم في السماء؟ قلت: لا. قال: فكوكب من هذه الكواكب الذي تراه تعرف جنسه طلوعه أفوله مما خلق؟ قلت: لا قال: فشيء تراه بعينك خلق ضعيف من خلق الله لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في

(١) السيوطي: صون المنطق، ص:٥

(٢) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص:٨٢.



شيء منه، ثم قال لي: شيء تحتاج إليه في اليوم مرارًا خمسة تدع تعلمه وتتكلف علم الخالق؟!

إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٣ ١٦٤] فاستدِل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لا يبلغه عقلك فقلت: فقد تبت إن عدت في ذلك"(١).

ويعلق البيهقي على هذا بقوله:" فشبه الشافعي المزني – فيما أورد عليه بعض أهل الإلحاد ولم يكن عنده جواب – بمن ركب البحر في الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه وأشرف على الهلاك، ثم علمه جواب ما أورد عليه حتى زالت عنه تلك الشبهة، وفي ذلك دلالة على حسن معرفته بذلك، وأنه يجب الكشف عن تمويهات أهل الإلحاد عند الحاجة إليه، وأراد بالكلام ما وقع فيه أهل الإلحاد من الإلحاد، وأهل البدع من البدع، والله أعلم."(٢)

ظاهر الروايات التي وردت عن الشافعي أنه يقف موقف المانع لعلم الكلام فهو يحذر منه دون تمييز بين محمود ومذموم، ومقبول ومرفوض، واستدل بكلام الشافعي – رحمه الله– الذين يستقبحون الكلام، ويعدون علم الكلام فعل من ترك

(١) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٥٨/١.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.



الكتاب والسنة ؛ لذلك صارت هذه العبارات شبهة لطائفتين كما يقول الرازي:"طائفة تطعن في علم (الشافعي) واجتهاده لإنكاره علم الكلام وذمه، ومن كان هكذا فهو جاهل بالله وصفاته وبالنبوة، وطائفة جعلت من (الشافعي) إمامًا – وهو كذلك– واستدلوا بهذه الروايات على حصول العداوة بين الشافعي، وأصحاب الكلام. "[١].

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي ،ص:٩٦-٩٨.



المبحث الثاني

التوفيق بين ما أثر عن الشافعي في ذم علم الكلام وبين الأخذ به

تجدر الإشارة إلى أن (الشافعي) أتقن علم الكلام، وبلغ فيه درجة عالية حيث سبر أغواره، وفطن للمناهج الفاسدة في الاستدلال فيه، فناهض مغالطات أهل الأهواء والنحل.

وقد خاض الشافعي في الكلام بشهادة علماء عصره، وجادل أهل الأهواء والفرق، وقد نقل البيهقي عن تلاميذه: "كنا على باب (الشافعي) –رحمه الله– نتناظر في الكلام فخرج (الشافعي) إلينا، فسمع بعض ما كنا فيه، فرجع عنا ثم خرج إلينا، وقال: ما منعني من الخروج إليكم إلا أنني سمعتكم تناظرون في الكلام، أتظنون أنى لا أحسنه؛ لقد دخلت فيه حتى بلغت فيه مبلغاً عظيمًا إلا أن الكلام لا غاية له تناظروا في شيء إن أخطأتم فيه يقال أخطأتم، ولا يقال كفرتم"(١)

واعترف الإمام (الشافعي) بأنه: يعرف علم الكلام فقد روى البيهقي في (مناقب الشافعي) بإسناده" عن المزني أنه قال دار بيني وبين رجل مناظرة فسألني عن الكلام إن صح كاد أن يشككني في ديني ، فجئت إلى الشافعي فقلت له: كان الأمر كيت، وكيت فقال الشافعي: هذه مسألة الملحدين والجواب عنها كيت، وكيت "(٢).

ويعلق الدكتور (ربيع الجوهري) علي هذا النص بقوله: "والنص واضح في أن الإمام استطاع أن يجيب عن هذه الشبهات التي أثارها أهل الإلحاد حتى كاد أن يتشكك(المزني) تلميذ الشافعي في دينه، وقد شبه الشافعي تلميذه بعد ما

(١) البيهقي: مناقب الشافعي،٤٦٠/١، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص:١٠٤.
(٢) البيهقي: مصدر سابق، ٤٥٨/١، الفخر الرازي: مصدر سابق، ص:١٠٣، وما بعدها.



سمع هذه التشكيكات من الملحد، ولم يستطع أن يجيب عنها بمن ركب مركبًا، ووصل إلي (تاران) في بحر القزم حيث الموت المحقق ففيها غرق فرعون وقومه"[١].

قال الإمام البيهقي: "وهذا يدل على حسن معرفة الشافعي بالكلام فإنه لولا أن الأمر كذلك وإلا لما قدر على الجواب عن تلك الشبهة " .[٢]

ويتضح من موقف الشافعي هذا أنه ينهى أصحابه من الخوض في علم الكلام على أساس معرفته التامة به، فرغم مقدرته الاستثنائية على الجدل ومناظرات الفرق المختلفة، إلا أنه كره في الخوض في علم الكلام لما يترتب عليه من تكفير الفرق لبعضها البعض.

وقد ذكر البغدادي في حديثه في بيان فضائل أهل السنة أن: "أول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب أبو حنيفة والشافعي ...... وللشافعي كتابان في الكلام أحدهما: تصحيح النبوة والرد على البراهمة، والثاني في الرد على أهل الأهواء" . [٣]

وبناء على ما تم ذكره يتبين أن الشافعي يتميز بمقدرة بارزة في الخوض في علم الكلام، فقد نقل الربيع عن الشافعي قوله: "لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابًا لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إليَّ منه شيء "[٤]، ويقول الذهبي: "هذا النفس الزكي متواتر عن الشافعي"[٥].

---

(١) الجوهري، د.محمد ربيع، الإمام الشافعي وعلم الكلام، (القاهرة، دار الطباعة، ط١، ١٩٨٦م ،١٤٠٧هـ)، ص:٣٢.

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٥٨/١.

(٣) أبو منصور البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، (ت:٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢/ ١٩٧٧م)، ص:٣٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٧١/٥١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٥

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، (دار الحديث القاهرة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) ٢٤٦/٨.



فمع امتلاك الإمام الشافعي أدوات الحجج لعلم الكلام إلا أنه نأى بنفسه – إلا إذا كانت الحاجة ماسة إلى ذلك– عن هذا الجانب لما كان سائدا في هذا العصر أن الاشتغال بهذا الجانب ماهو إلا معترك فكري قائم على المحاكاة، والمخاصمات التي تتعارض مع الكتاب، والسنة ؛ كما أنه لو انشغل بهذا الجدل،والرد عليه لما تمكن من كتابة " الرسالة" و" الأم" وغيرهما من مصنفاته العظيمة في الفقه وأصوله .

ويمكن التوفيق بين موقف الشافعي من الرفض لعلم الكلام، والكلام فيه الأمور التالية:

أولاً : عمن يتكلم الشافعي؟ من هم المتكلمون في زمن الشافعي؟

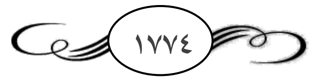
شهد عصر الشافعي شيوع فكر المعتزلة، والدفاع عنه من قبل أصحابه، وتأليب الحكام على أهل الحديث، فكان مشحوناً بالجدل والكلام؛ حيث إن المعتزلة في عصر الشافعي كانوا أبرز من أثار جدلاً في أمور العقيدة، وكان ما كان من أمر الاضطراب الفكري في هذا العصر .

نتج عن ذلك عداء بين المعتزلة، ومعظم الاتجاهات الإسلامية المعتدلة، وبخاصة الفقهاء والمحدثين نتيجة لما ارتكبه المعتزلة من رفض للحديث في بعض درجاته المقبولة، ومن ذم للمحدثين، ومن تجرؤ على الصحابة بالذم، ومن فرض لآرائهم بالقوة قوة السلطان، وغير هذا من المثالب التي لم تستطع الكتب الموالية لهم أن تنكرها .[1]

فقد كان يُطلق أهل الكلام آنذاك على القدرية، والمعتزلة، وأهل الأهواء والبدع .

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر:زهدي جار الله: المعتزلة،(بيروت: دار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م) ، ص: ١٨٦-١٨٩.



يقول الرازي: "فإن في ذلك الزمان كان الكلام اسما للمتكلم في الاعتزال والقدر"[(١)]، وسبب ذلك يرجع إلى نشأت (علم الكلام) على يد المعتزلة، وإلى استخدام بعض المتكلمين لمناهج فلسفية ومنطقية أبعدت مسائل العقيدة عن مصادرها الأساسية.

يقول(طاش كبري زادة): "الكلام الشائع في زمن الأئمة المجتهدين هو كلام أهل الاعتزال والارجاء وأمثالهما ... إن واحدًا من الأئمة الكبار لم يبلغ زمن ظهور الكلام بأيدي أهل السنة والجماعة." [(٢)]

وقال أيضًا:" فاعلم أن مبدأ شيوع الكلام كان بأيدي المعتزلة، والقدرية في حدود المائة من الهجرة؛ لأن ظهور الاعتزال كان من جهة واصل بن عطاء، وكانت وفاته في سنة ١٣١هـ، وولادته في سنة ٨٠هـ فيصير زمن طلبه العلم، وقدرته على الاجتهاد في حدود المائة تقريبًا "[(٣)] .

كان يطلق مصطلح علم الكلام عادة على فرقة المعتزلة التي كانت أسبق زمنًا من ظهور مؤسس أهل السنة وهو الإمام الأشعري والذي توفي في ٣٢٤ هـ" والأشعري هو أول من عرض لنصرة عقائد أهل السنة بالبراهين العقلية، وأخذ في مجادلة مخالفيهم خصوصًا المعتزلة اعتمادًا على النقل والعقل"[(٤)] .

إن المعتزلة أول الطوائف اشتغالا بهذا العلم، و الذين روجوا له ، وطلبوا من الخلفاء، وخاصة فى الدولة العباسية حمل علماء المسلمين جميعًا على الأخذ بالآراء الاعتزالية فى أمر العقيدة

---

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص: ١٠٥

(٢) طاش كبري زادة: مفتاح السعادة، ١/ ١٦٠- ١٦٧.

(٣) طاش كبري زادة: مفتاح السعادة، ٣٧/٢.

(٤) الشيخ. مصطفى عبد الرازق: التمهيد، ص:٢٤٠ .



بذلك يمكن القول: إن (المعتزلة) المؤسس الحقيقي لعلم الكلام، حيث اتجهوا اتجاهًا فلسفيًا في علم الكلام، فأسرفوا في تقديم العقل على النقل، فكانت طريقتهم تخالف السلف الصالح في فهم العقائد، والشافعي كان الاتباع لا الابتداع في الاستدلال، فكان الباعث المباشر على كراهة الكلام عند الكثير من الأئمة هو أن الكلام الشائع في زمان الأئمة المجتهدين هو كلام أهل الاعتزال والارجاء وأمثالهما[(١)].

فتبين من ذلك أن كراهية الشافعي للخوض في علم الكلام ليست مطلقة، ولكنها منصبة على تلك الآراء التي تعتمد على الأهواء، ونشر العقائد الباطلة المشككة في عقيدة المسلمين، والمناوئة للكتاب والسنة، والداعية للتعصب الأعمى للرأي ولو كان باطلاً "فيصرف ذلك الذم إلى الكلام الذي كان أهل البدعة ينصرونه ويٌقرونه " [(٢)].

وذم الشافعي للمتكلمين إنما يُحمل على أهل البدع والأهواء، لما عرف في عصره من استعانة أهل البدع والأهواء بالسلطان لقهر الحق، واستعانتهم بحجج فلسفية لإثارة الشبه وزرع الشك، أما علم الكلام الذي يرد به أهل الحق على المخالفين لهم في العقيدة أو الفرق الضالة، ويبطلون حججهم فلا يدخل في علم الكلام المذموم؛ لأن الشافعي نفسه كان يجادل حفصًا الفرد وبشرًا المريسي، بل كان شديد الجدل معهم حتى قال حفص الفرد " كاد يقتلني الشافعي"[(٣)] .

---

(١) طاش كبري زادة: مفتاح السعادة، ٢ /١٢١.

(٢) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص: ١٠٣.

(٣) انظر: اللالكائي، أبو بكر محمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور، أصول اعتقاد أهل السنة، تحقيق د. أحمد سعد حمدان (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ)، ٢٥٤/٢، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص:١١٠.



والجانب الدفاعي ما دل عليه قول البيهقي: " وأهل البدع فى زماننا لا يكتفون بالخبر ولا يقبلونه، فلابد من رد شبههم إذا أظهروها بما هو حجة عندهم "(١) .

يمكن للناظر أن يستخلص موقف الشافعي من علم الكلام بالتوفيق بين ذمه له وخوضه فيه بأن يحمل طعن الشافعي في علم الكلام ، لذا قال البيهقي:" أراد – الشافعي– بالكلام: ما وقع فيه أهل الإلحاد من الإلحاد ، وأهل البدع من البدع"(٢)

"وأما السبب الذى يكمن في القائمين علي علم الكلام: كان المعتزلة هم القائمين علي هذا العلم، وقد استغلوه شر استغلال في الوصول إلي الحكام، وفي التحكم فى آراء الناس، وفكرهم بل وفي مستقبلهم ورقابهم فكانت المحن وكان البلاء، ولذا خشي الشافعي من التوسع في هذا العلم فكان يحجب الناس عنه، حتي لا يبتلى العلماء بالدخول علي الأمراء، والتعرض للسؤال والابتلاء، ومناظرة أهل البدع والأهواء"(٣) .

مما سبق يتبين أن نهي الشافعي عن علم الكلام، أنه كان يطلق علي المعتزلة وأصحاب الأهواء، وأن الفتن وقعت في ذلك الزمان بسبب خوض الناس في مسألة القرآن، وأهل البدع استعانوا بالسلطان ، وقهروا أهل الحق، فلما عرف الشافعي أن البحث في هذا العلم ما كان لله وفى الله بل لأجل الدنيا والسلطة لا جرم تركه وأعرض عنه، وذم من اشتغل به.

ثانياً : خطورة مآل الخطأ في علم الكلام:

اعتبر الإمام (الشافعي): أن الخطأ في العقائد أشد من الخطأ في الفقه، وأن أهل الأهواء يكفر بعضهم بعضًا، ولعل سبب كرهه لهذا العلم يرجع إلى نفس ما ذكره أبو حنيفة حينما نهى ابنه عن الكلام رغم أنه هو نفسه –أي أبو حنيفة– ناظر فيه بقوله: "كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير مخافة أن يزل صاحبنا، وأنتم

(١) الرازي: ابن أبي حاتم، (ت:٣٢٧هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، (٤٦٩/١).
(٢) البيهقي: مناقب الشافعي،٤٥٨/١.
(٣) د. محمد ربيع الجوهري: الإمام الشافعي وعلم الكلام، ص: ٤٢.



تناظرون وتريدون زلة صاحبكم ومن أراد أن يزل صاحبه فقد أراد أن يكفره فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه"(١) .

فنلاحظ أن أهم ما أخذه (الشافعي) على المشتغلين بعلم الكلام – في زمانه– مغالاتهم في تكفير بعضهم بعضًا، وسَريان موجات التكفير التي انتشرت بين غلاة الفرق من شيعة وخوارج مما أدى إلى بلبلة كان لابد معها من موقف، فلم يكن نهى الشافعي عن العلم ذاته، ولا نهيًا عن موضوعه وغاياته؛ ولكن لما آل إليه على أيدي بعض الفرق التي يهدف أصحابها إلى رمى مخالفيهم بالكفر، وتُثبت أنها فقط الفرقة الناجية فعن الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: كان الشافعي ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء ويقول: أحدهم إذا خالف صاحبه قال: كفرت، والعلم إنما يقال فيه: أخطأت (٢).

ولعلّ ما جعل الشّافعي يبغض علم الكلام هو كون هذا العلم "ميدان خطّ مقلق يؤدّي إلى عواقب وخيمة، وهذا يتبيّن من قوله لأصحابه: "إيّاكم والنّظر في الكلام فإنّ الرّجل لو سئل عن مسألة في الفقه، وأخطأ فيها كان أكثر شيء أن يُضحك منه، كما لو سئل عن رجل قتل رجلاً فقال: ديّته بيضة، ولو سئل عن مسألة في الكلام، فأخطأ، نسب إلى البدعة والكفر .

ولهذا السبب قال (الشافعي) : "رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضًا، ورأيت أهل الحديث يخطئ بعضهم بعضًا، والتخطئة أهون من الكفر"(٣) .

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: قال لي الشافعي: يا محمد إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه فإنه إن سألك عن دية فقلت: درهمًا أو

(١) المكي: مناقب الإمام الأعظم ١١١/١.

(٢) ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، ص: ٢٣٠ .

(٣) ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، ص:٤٥٢.



دانقًا قال لك: أخطأت، وإن سألك عن شيء من الكلام فزللت قال: كفرت"[١] قال الحافظ الذهبي: قلت:" هذا دال على أن مذهب أبي عبد الله –الشافعي –أن الخطأ في الأصول ليس كالخطأ في الاجتهاد في الفروع" [٢] .

وبهذا يري الشافعي أن طريق الكلام محفوف بالمخاطر ؛لأنه – من وجهة نظره– علم شائك المسائل يجر إلى الكفر إذا أخطأ فيها لذا لا غرابة أن ينهي أصحابه، وينفرهم من هذا العلم .

ثالثًا : أن هذا العلم لم يرد به الأمر بالكتاب والسنة، ولا وجد عن السلف البحث فيه اقتناعًا منه بأن: القرآن والسنة تكفلا ببيان أمور العقيدة دون غموض، أو إيهام، ولأن السلف الصالح –مع حرصهم على عقيدتهم– لم يشغلوا أنفسهم بمسائل في الاعتقاد إذ لا طائل تحتها كما فعل المتكلمون وكما قال الامام مالك: "ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع"[٣] .

وقد رُوي عن حسين بن على الكرابيسي أنه قال: " شهدت الشافعي، ودخل عليه بشر المريسي فقال لبشر: أخبرني عما تدعو إليه أكتاب ناطق، وفرض مفترض، وسنة قائمة، ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال؟ فقال بشر: لا إلا أنه لا يسعنا خلافه، فقال الشافعي: أقررت بنفسك على الخطأ فأين أنت من الكلام في الفقه والأخبار؟ يواليك الناس وتترك هذا؟ قال: لنا نهمة فيه. فلما خرج بشر قال الشافعي: لا يفلح "[٤]

---

(١) البيهقي: مناقب الشافعي (٤٦٠/١)، الهروي: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (ت:٤٨١هـ)، ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، (١١٣٢/٢٨٦/٤).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٩/١٠.

(٢) السيوطي، صون المنطق، ص:٣٣.

(٤) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ٢٧/١٠.



ويعلق السيوطي على هذا بقوله: "دل هذا النص على أن العلة في التحريم النظر في علم الكلام كونه لم يرد الأمر به في الكتاب والسنة ولا وجد عن السلف البحث فيه"(١) .

وفيما سبق يرى الشافعي أن هؤلاء قوم يثيرون الفتن، ويبعدون الناس عن القرآن والسنة لذا فهم جديرون أن يُعزلوا حتى لا يأخذ الناس عنهم .

ما جاء عن الإمام الشافعي أنه يريد أن يقوم الكلام في مسائل العقائد وغيرها على الكتاب والسنة، فعن الحسين الكرابيسي قال: قال الشافعي: كل متكلم على غير أصل كتاب ولا سنة فهو هذيان(٢).

ولعل ما سبق من أسباب هي التي دعت الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) إلى التحذير من علم الكلام، فلم تكن دعوته هدمًا لعلم الكلام ، بل تصحيحًا لمساراته الصحيحة، وأن تكون قواعده منضبطة بالمصادر الشرعية، والأساليب القرآنية، واللغة العربية، ولم يحكم الشافعي بتحريم علم الكلام والمتكلمين عن هوى، أوعن جهالة، وإنما عن علم ومعرفة ودراية بكل مسائلة وقضاياه، ومنهج البحث فيه على طريقة المتكلمين

وعلم الكلام الذي ذمه الإمام الشافعي، وغيره إنما هو علم الكلام المشتمل على مذاهب المخالفين الذين أدخلوا في قضايا الدين أشياء خالفت ما كان يعتقده المتقدمون من الصحابة والتابعين وجمهور الأمة وكانت عناوين كتبهم تحت لفظ علم الكلام .

يؤيد هذا ما ذكره التفتازاني: "وما نقل عن السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب في الدين، والقاصر على تحصيل اليقين، والقاصد إلى

---

(١) السيوطي: صون المنطق، ص:٦٤.

(٢) البيهقي : مناقب الشافعي، ٤٧٠/١.



إفساد عقائد المسلمين، والخائض فيما يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات، وأساس المشروعات"[١] .

إذن فمعيار الحكم عنده هو ترك الكتاب والسنة في المناظرة، فالكلام المذموم هو ما خالف الكتاب والسنة، أما مباحث علم الكلام فهي لتأييد الكتاب والسنة وموافقتهما فلا حرمة ولا كراهة، بل عدَّ البعض الاشتغال بهذا العلم من فروض الكفايات ؛لأن فيه صون العقيدة ، ودفع الشبه، ودرء الخصوم ، وفى ذلك يقول الغزالي: "والكلام من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة[٢]...، ويقول أيضًا اعلم أن التبحر في هذا العلم والاشتغال بمجامعه ليس من فروض الأعيان بل من فروض الكفايات"[٣] .

تأسيسا على ذلك "فكل متكلم على الكتاب والسنة فهو الحد الذي يجب، وكل متكلم علي غير الكتاب والسنة فهو هذيان"[٤]، بل أخذ الإمام الشافعي يعمل عقله، وملكات تفكيره في تحصيل العلوم، والمعارف، وفى بثها ونشرها تأليفًا وتصنيفًا، وتدريسًا ما دام ذلك في حدود النص بما لا يخرجه عن الأصول، والقواعد الشرعية الثابتة، لأن الكلام الذي يوافق الكتاب والسنة، وبين العقل، والعبرة محمود مرغوب فيه، فقد تكلم فيه الشافعي وغيره من أئمتنا رضي الله عنهم عند الحاجة إليه"[٥].

---

(١) التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي (ت: ٧٩٣ هـ)، شرح العقائد النسفية، تحقيق: أحمد حجازى السقا، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٩٨٧م)، ص: ١٨.

(٢) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣١/١.

(٣) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،٢٩/١.

(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٧٠/١.

(٥) المرجع السابق:١/ ٤٦٥-٤٦٧.



فالعقل الكلامي عقل موجه بالوحي، ويرفع الإنسان من مرتبة الإيمان التقليدي إلى رتبة الإيمان العقلي، ويربط بين مسالك النظر بمسالك البصر .

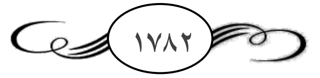
من هنا صح قول المؤولين بأنه كان يقصد من ذم علم الكلام عدم التوغل في المضايق التي لا سبيل للعقل إلى الخوض فيها، وهذه الأمور هي أهم ما كان الإمام الشافعي- رضي الله عنه- يتميز به في بحثه، وفحصه، ودراسته لقضايا ومسائل الفقه، والتشريع والعقيدة، وهو لا يتكلم في الكلام إلا حيث يجب عليه نصرة للدين، ودفاعًا للمبطلين.

فالشافعي كان يفرق بين نوعين من القضايا، قضايا وليدة الزندقة في الإسلام، ولا سبيل للعقل للخوض والتوغل فيها ويسميها "علم الكلام"، وقضايا تُعمِل دلائل للتوحيد والنبوة ويسميها علم التوحيد، يقول الشافعي: "فكل من نصر علم الأصول وقرر دلائل التوحيد على مذهب الخليل استوجب التعظيم المذكور في[1] قوله تعالى: (وتلك حجتنا...) [الانعام ٨٣] " يرجع موقفه هذا لما أثر عن النبي (ﷺ) من أحاديث تؤكد أنه علم أمته التوحيد، "فعن محمد بن عقيل بن الأزهر الفقيه قال: جاء رجل إلى المزني فسأله عن شيء من الكلام، فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، ولقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك: محال أن يظن بالنبي (ﷺ) أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي (ﷺ) : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»، فما عصم به الدم والمال فهو حقيقة التوحيد"[2] .

---

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص: ٧٠.

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرىء (ت:٤٥٤هـ)، «أحاديث في ذم الكلام وأهله بانتخاب أبي الفضل المقرئ» تحقيق: د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، (ط/ دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، (١/٩١-٩٢)، الهروي، «ذم الكلام» (٢٨٢/٤، ٢٨٣).



وقد ذكر البغدادي فى حديثه فى بيان فضائل أهل السنة أن: "أول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب: أبو حنيفة والشافعي ... وللشافعي كتابان فى الكلام أحدهما: تصحيح النبوة والرد على البراهمة، والثانى: فى الرد على أهل الأهواء"(١) .

تمرس الشافعي فى علم الكلام، وأخذ به بشهادة تلاميذه الذين صحبوه، بل وبلغ فيه مبلغاً، فجادل أهل الأهواء، والفرق المختلفة وصنف فيه كذلك، أما ماروى عنه من روايات تفيد نهيه الشديد عن العلم فيبررها البيهقي بأن الكلام المذموم إنما هو كلام أهل البدع الذى يخالف الكتاب والسنة، وأما الكلام الذى يوافق الكتاب والسنة، وبُيِّنَ بالعقل والعبرة فإنه محمود مرغوب فيه عند الحاجة، وفيه تكلم الشافعي"(٢) .

كان الإمام الشافعي ينهي عن علم الكلام ليس للعلم نفسه وموضوعاته؛ ولكن لما آل إليه على يدي أصحابه، فكان شغل كل فرقة آنذاك ترمي الفرق الأخري بالكفر والزندقة.

فالمنهي عنه كما يقول البياضي: "كلام الفلاسفة وكلام الخصومه، فأما المناظرة فيه علي وجه إظهار الحق فلا كراهية فيه، بل هي المأمور به في قوله تعالى:﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل"١٢٥](٣) .

بل المنهي عنه هو اتباع المتشابه، أو البحث العقلي فيما لا مجال للعقل فيه كالذات الإلهية ونحوها لا يعني تحريم البحث في غيرها من مسائل العقيدة في ضوء صريح العقل، وصحيح النقل، والعديد من آيات القرآن الكريم بها استدلال علي العقيدة الإسلامية، وإبطال العقائد الباطلة .

---

(١) أبو منصور البغدادي: الفرق بين الفرق،ص: ٣٦٣.
(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، ص: ٤٦٧.
(٣) البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام، (القاهرة: ط الحلبي، ١٩٤٩م) ص:٣٦.



لذلك قال إمام أهل الحق الإمام الأشعري:" إن النبي – صلي الله عليه وسلم– لم يجهل شيئًا مما ذكرتموه من الكلام...وإن لم يتكلم فى كل واحد من ذلك معينًا، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة، غير أن هذه الأشياء التى ذكرتموها معينة أصولها موجودة فى القرآن والسنةجملة غير مفصلة "(١) ثم يضيف فى موضع آخر : " وهذه المسائل وإن لم يكن فى كل واحدة منها نص عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فإنهم ردوها وقاسوها علي ما فيه نص من كتاب الله تعالي والسنة والاجتهاد" (٢)

فمن هنا كانت دعوة الشافعي تتطابق مع وجهة النظر التي تجمع بين ذمه لعلم الكلام، وبين خوضه لمسائل عقدية قال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال أبو حنيفة:" لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام قال: وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام"(٣).

على غرار (أبي حنيفة) الذي ذم علم الكلام، وألف فيه تحت اسم آخر وهو "الفقه الأكبر" كذلك (الشافعي) تمكَّن من علم الكلام ثم ذمه، فالإمامان يتفقان حول اسم "علم الكلام " لتفشي مقالات الزندقة لمن ينسب إلى هذا العلم والفلسفة، ويختلفان في التسمية، فهو عند أبو حنيفة "الفقه الأكبر" وعند الشافعي "علم التوحيد"، لكن مضمونهما واحد.

ولا أشك أن علم التوحيد أشرف العلوم الشرعية وأعلاها؛ لأنّه ينظر في إثبات

---

(١) أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى (ت: ٣٢٤هـ)، استحسان الخوض في علم الكلام، (دار النشر: مكتبة السادة الأشراف، حيدر أباد، ط٢، ١٣٤٤هـ- ١٩٢٥م)، ص:٤.

(٢) الإمام الأشعري، أبو الحسن، استحسان الخوض في علم الكلام، ص: ١٠.

(٣) الهروي: ذم الكلام وأهله، ٢٨٢/٤، ٢٨٣.



وجود الله وصفاته (الإلهيات)، وما يجب للرسل وما يجوز وما يستحيل عليهم (النبوات)، والحديث عن (السمعيات) ، ولأنّه هو الضّابط لأُسس العلوم الدّينيّة الأخرى وقواعدها، ويربي لدى دارسيه الملكة العلمية لاثبات العقائد التى جاء بها الوحي الإلهي ، والدفاع عنها ، فمن اشتغل بهذا العلم فهو على ثغر من ثغور الإسلام .

الفصل الثاني : أبرز قضايا علم الكلام عند الإمام الشافعي

المبحث الأول : الاستدلال على وجود الله ووحدانيته وصفاته

المطلب الأول : الاستدلال على وجود الله ووحدانيته

تعتبر قضية الاستدلال على وجود الله وصفاته من أهم قضايا علم الكلام، وقد أولى القرآن الكريم هذه القضية اهتمامًا كبيرًا، وتنوعت أدلته فيها، وقد أسهم مفكروا الإسلام بنصيب وافر فى هذه القضية وتنوعت مسالكهم ، وما كان الإمام (الشافعي) – مع كراهيته للجدل في مجال العقيدة – بمنأى عن الإسهام فى هذه القضية، وقد سلك مسلكًا ومنهجًا قويمًا في الاستدلال العقلي على وجود الله ، وما أثرعنه من عبارات في هذا الباب تؤكد معرفته بالفرق الإسلامية في عصره، ومن المعروف أن عصره بما حَوي من أجناس مختلفة، ومذاهب متعددة، و تيارات مناوئة للعقيدة الحقة، اتكأوا في شُبهم على تكلفات عقلية، الذى ألجأ الإمام (الشافعي) إلى التصدي لكشف زيف شُبهم، وسفسطة أدلتهم ، وفساد طريقتهم.

ومن المواقف التي رُويت عن الإمام (الشافعي) مناظرة جرت بينه، وبين بعض الملحدين المنكرين لوجود الله، بعد ما طلب الملحدون منه دليلاً عقليًا يثبت به وجود الله ووحدانتيه:

قال الإمام (الشافعي): "استقبلني سبعة عشر زنديقًا في طريق غزة فقالوا: ما الدليل على الصانع؟ فقلت لهم: إن ذكرت دليلاً شافياً هل تؤمنوا؟ قالوا نعم. قلت: ترى ورقة الفرصاد (التوت) طبعها ولونها سواء وريحها فيأكلها دود القز فيخرج من جوفها الإبريسم (الحرير)، ويأكلها النحل فيخرج من جوفه العسل، وتأكلها الشاة فيخرج من جوفها البعر، فالطبع واحد إن كان موجباً عندك فيجب أن يوجب شيئاً واحداً، لأن الحقيقة الواحدة لا توجب إلا شيئاً واحداً، ولا توجب متضادات متنافرات، ومـــن جوز هذا كان عن المعقول خارجاً وفي التيه والجا،



فانظر كيف تغيــرت الحالات عليهــا، فعرفــت أنـــه فعــل صانـــع عالــم قـــادر يحـــول عليها الأحـــوال ويغيرهـــا. قـــال: فبهتـــوا ثـــم قالـــوا: لقـــد أتيــت بالعجــب العجاب. فآمنـــوا وحســـن إيمانهـــم وكان عددهم سبعة عشر"(١).

فهذه المناظرة استدل فيها (الشافعي) بورقة من التوت على وجود الله ، فطعمها واحد ، ولونها وطبعها واحد. فتاكلها الدود، والغزلان، والأبقار، والنحل كل هذه المخلوقات تخرج غير الأخرى، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الأصل واحد ، فأفحمهم بهذا وأعجبوا بذكائه وفطنته.

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإمام (الشافعي) لم يبتعد عن فكر عصره،فكان قادرًا على المناظرة في باب العقائد إذا لزم الأمر ذلك، فإذا أضفنا هذا إلى جدالهم حول وجود الله بان أن (الشافعي) يعرف عقيدتهم في الإله الواحد، وفي القرآن.

وكان مُلمًا بأساليب عصره فسخرها لخدمة الحق، فهو إمام من أئمة المسلمين عقيدة وفقهًا وسلوكًا، وكانت آراؤه في مسائل العقيدة واضحة جامعة بين النقل والعقل.

ولما كانت مسألة وجود الله تعالى ووحدانيته من أول وأهم المسائل في علم الكلام ، اتضح أن الإمام (الشافعي) قد تكلم فيها بأسلوب أئمة علماء العقيدة، وظهر ذلك جليًا في مناظرة بينه، وبين بشر المريسي (المعتزلي) التي اتبع فيها المنهج العقلي، وتعد هذه المناظرة منهجًا لمن يتحاورون في إثبات وجود الباريء سبحانه وتعالى، فعرض فيها أربعة أدلة متنوعة علي إثبات وجود الله ووحدانيته.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – ط١(١٤١٩هـ)، ١/ ٥٩ .



ذكر البهيقي وغيره [1] في حكاية طويلة: " سأل بشر المريسي في مجلس هارون الرشيد الإمام الشافعي متحديًا فقال له بشر أخبرني ما الدليل علي أن الله واحد؟

فقال (الشافعي) : يا بشر ما تدرك من لسان الخواص [2] فأكلمك على لسانهم إلا أنه لا بد لي أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت الدليل عليه به ومنه وإليه.

واختلاف الأصوات من المصوت (واختلاف الصور) إذا كان المحرك واحداً دليل على أنه واحد.

وعدم الضد في الكمال على الدوام دليل على أنه واحد.

وأربع نيرات مختلفات في جسد واحد متفقات على ترتيبه وتركيبه في استقامة الهيكل دليل على أن الله تعالى واحد.

وأربع طبائع مختلفات في الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على إصلاح الأحوال دليل على أن الله تعالى واحد ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة ١٦٤] كل ذلك دليل علي أن الله تعالى واحد لا شريك له...." [3]

(١) البيهقي: مناقب الشافعي، (٣٩٩/١)، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص: ١٠٧.

(٢) هذا يدل علي أن الشافعي يري أن العلم درجات: فمنه ماهو للخواص، ومنه ماهو لغيرهم: ولعل هذا يفسر لنا أيضًا نهي الشافعي الناس عن العبث بمسائل علم الكلام، فالتبحر فيه من شأن الخواص، راجع: د. محمد ربيع الجوهري، الإمام الشافعي وعلم الكلام ،ص: ٤٤.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ٨٣/٩، ، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، (١٠٧).



لقد بَيَّن الإمام (الشافعي) هذه الدلائل على وحدانية الله تعالى، بأسلوب حواري فلسفي " أسلوبه فى الحوار الجدلي المشبع بصور المنطق ومعانيه حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف فى الاستقلال والتقصي ومراعاة النظام المنطقي، حوارا فلسفيًا "(١) .

وفسر وعلق الإمام (فخر الدين الرازي) على هذه المناظرة وشرح أدلتها المجملة التي ذكرها الشافعي على وجود الله ووحدانية بقوله: " إن الشافعي ذكر أنواعًا من الدلائل، فيجب علينا أن نفسرها أولاً، ثم نبين دلالتها على الوحدانية ثانيًا.

النوع الأول : مما ذكره من قوله (اختلاف الأصوات من المصوت دليل على أنه واحد) فاعلم أن الأعضاء التي هي الآلات في تكوين الأصوات والحروف. أعضاء مخصوصة وهي: الحلق، والحنجرة، واللسان، والأسنان، والشفتان. ثم إنك ترى جميع الناس مع اشتراكهم في هذه الآلات مختلفين في الأصوات، حتى أنك لاترى في الحياة شخصين بتشابه صوتهما من جميع الوجوه، فلولا أن الصانع القادر الحكيم خصص خلق كل إنسان وحنجرته ولسانه، وأسنانه ، وشفتيه بكيفيات مخصوصة أجلها صار كل إنسان وحنجرته ولسانه وأسنانه وشفتيه بكيفيات مخصوصه لأجلها صار هو مختصًا بذلك الصوت المعين، وإلا لم يحصل ذلك الاختصاص ، فلم يبق إلا الجرم باستنادها إلى الفاعل المختار، وكما أنك لا تجد هناك شخصين تتشابه صوتهما، (فكذلك لا تجد شخصين تتشابه صورتهما) من جميع الوجوه، وذلك أيضا من أعظم الدلائل على الصانع الحكيم فلولا أن الصانع القادرالحكيم خصص خلق كل إنسان وحنجرته لم يحصل ذلك الاختصاص وفاعلها مختار، وإلى هذين النوعين من

---

(١) مصطفي عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة. (درار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني: ط ١، ٢٠١٣م)، ص:٣٥٨.



الدلالة الإشارة [١] بقوله تعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم : ٢٢]

نستنتج من خلال ماسبق أن اختلاف الأصوات بين إنسان وآخر، وكذلك الصور من خلال المشاهدة والتأمل تدل على وجود خالق مخصِص، بل اختلاف طبقات الصوت من مصوت واحد تدل علي وجود خالق، فالناس تشترك في الحلق والحنجرة واللسان والأسنان والشفتان؛ لكنهم يختلفون في الأصوات فهذا التخصيص دليل على وجود مخصِص واحد وهو الله عزوجل القادر على كل شيء.

النوع الثاني : قول- الإمام الشافعي -عدم الضد في الكل على الدوام

وتفسيره: إن (بدن) كل إنسان ينتقل من حال إلى حال مثل: أن يكون صبيًا، ثم شابًا، ثم كهلا، ثم شيخا، وأيضا يكون سمينا، ثم يصير هزيلا، وبالضد . ويكون حارًا ،ثم يصير باردًا وبالضد. ثم إنا نري الإنسان مع اختلاف هذه الأحوال باقيًا علي نهجه الأول في الصوت والصورة ،.. ولما رأينا أن الصوت والصورة باقيتان مصونتان عن الضد مع اختلاف هذه الأمور، علمنا: أن بقاءهما بسبب أن الفاعل الحكيم المختار ببقائهما على تلك الأحوال والهيئات واحد." [٢]

ويمكن الإشارة هنا أن الانسان ينتقل من حال إلى حال، و من صحة إلي مرض، ومن ضعف إلى قوة، والشخص هو الشخص، والضد لا يجتمع مع الكمال يقضي بإثبات الوحدة لله، أي الفاعل واحد وهو الله عز وجل، فمن الذي حفظ لكل إنسان قوامه وشخصه مع سريان الأضداد وجريانها عليه ؟ ليس إلا الله الوحد الأحد .

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص:١٠٨.
(٢) المصدر السابق، ص :١٠٩ .



النوع الثالث : قوله وأربع نيرات مختلفات في جسد واحد ... الخ

قال الرازي : إن في البدن نيرانًا أربعة :

أحدهما : نار الشهوة – ثانيهما حرارة الغضب–ثالثهما الحرارة القائمة بأعضاء الغذاء وهي الحرارة المؤثرة في هضم الغذاء – ورابعهما: الحرارة الغريزية المتولدة في قلبه وهي الحرارة القائمة (المؤثرة) التي يتم بها أمر الحياة

فهذه الأنواع الأربعة من الحرارة نيران مختلفة بالماهية، ثم إنها اجتمعت في بدن الإنسان (وتبقي كل واحدة منها على صفتها المخصوصة، وطبيعتها المخصوصة، وهي كامنة في بدن الانسان) لا تظهر إلا عند وقت الحاجة إليها، ثم إنها مع اختلافها وتباينها متوافقة متعاونة على تحصيل مصلحة الإنسان، وموجبة لاستقامة سلامة ذلك الجسد "[١] .

والمقصود أن هذه النيران الأربعة مختلفة في حقيقتها متباينة في وظيفتها، محتفظة بطبيعتها مجتمعة في بدن الإنسان ، ورغم اختلافها وتباينها نجدها متوافقة من أجل بقاء الإنسان، وتماسك كيانه. فمن الذي رتب ذلك؟ ليس إلا الله الواحد الأحد.

النوع الرابع : قوله: وأربع طبائع مختلفات في الخافقين، أضداد غير أشكال مؤلفات على صلاح الأحوال دليل على أنه واحد.

وتفسيره : إن أبدان الحيوانات ومنها الإنسان (على قول الأطباء) متولدة من هذه الطبائع : الأرض والماء والهواء والنار، وهذه الأخلاط الأربعة : مختلفة، متنافرة في شكلها وطبعها، فكيف اجتمعت، وتآلفت، وتعاونت لإصلاح حال الإنسان، واستقامة أمره ، لابد وأن يكون بقدرة قادر وتدبير مدبر قدير. فنقول: إنها دالة على وجود الصانع القديم، وكمال قدرته وعلمه وحكمته، وهي أيضا

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص: ١١٠.



دالة على كون الصانع واحدًا، لأنه لو كان الصانع أكثر من واحد لما حصل هذا النظام في المخلوقات بل كان يحصل الفساد كما قال الله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء ٢٢]

ثم قال الرازي : فثبت بما ذكرنا أن الوجوه التي ذكرها الشافعي: دالة على وحدانية الصانع ولمثل هذا التقدير قال تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة ١٦٣]

ثم احتج علي وحدانيته بقوله تعالى واحد ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة ١٦٤]

ومعلوم أن دلالة هذه الأشياء على صحة قوله ﭐ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ليست إلا بالطريق الذي ذكرناه فثبت أن كلام (الشافعي) في هذا الباب وفق دلائل القرآن من غير تفاوت أصلا"(١)

يدل ذلك أن خلق الإنسان بهيئته في تركيب أجزاء بدنه، وعجائب تكوينه كلها محاطة بالعناية والدقة المحكمة في سائر المخلوقات محال أن تُكَوِن نفسَها بنفسِها، ومحال أن تكون على سبيل المصادفة، ومن غير حكيم وصانع مبدع أفاض عليها من عنايته وحكمته وهو الله تعالى .

كلام الشافعي يدل علي شخصيته، وينم على عبقريته، ويبرز تمكنه من المناظرة في العقائد بالأدلة العقلية المتنوعة، والأدلة النقلية التى يُستدل بها على

(١) المصدر السابق، ص:١١٢.



وجود الله ووحدانيته بإيجاز غير مخل الذي تطرق إليه المتكلمون فيما بعد بمزيد من التفصيل.

وفى ذلك يقول الإمام الرازي: "وكان الامام الشافعي – رضي الله عنه – في هذه الكلمات القليلة أكثر مما ذكره المتكلمون في الكتب الطويلة، وهذا يدل على أنه كان متقنًا في علم الأصول"(١).

فهذا مسلك كلامي سلكه الإمام الشافعي في البرهنة على وجود الله ووحدانيته بما يتناسب مع البنية المنهجية، والإطار الفكري لمساقات الاحتجاج والاستدلال مع مناظريه في الناحية العقدية .

وقد سلك إمام أهل الحق مسلك الإمام الشافعي في الاستدلال على وجود الله، يقول الإمام الأشعري: " إن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن للخلق صانعًا صنعه ومدبرًا دبره ؟ قيل له: الدليل على ذلك أن الإنسان هو فى غاية الكمال والتمام، كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحمًا ودمًا وعظمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال .... وأن ناقلا نقله من حال إلى حال ودبره علي ماهو عليه؛ لأنه لا يجوز انتقاله من حال إلى حال بغير ناقل ولا مدبر .... وإذا كان تحول النطفة علقة، ثم مضغة، ثم لحمًا ودمًا وعظمًا، أعظم فى الأعجوبة ، كان أولى أن يدل على صانع صنع النطفة، ونقلها من حال إلى حال ....وقد قال الله تعالى منبهًا لخلقه على وحدانيته قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات : ٢١] بَيَّن لهم عجزهم وفقرهم إلى صانع صنعهم، ومدبر دبرهم"(٢)

وفي استدلال آخر للإمام الشافعي علي وجود الله ووحدانيته بدليل الخلق :

---

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي،ص:١١٣.

(٢) الإمام الأشعري، أبو الحسن، اللمع فى الرد علي أهل الزيغ والبدع، (القاهرة: مكتبة الخانجي ط ١، ٢٠١٠م، ١٤٣١هـ ،) ص: ١٧ :١٩ .



روى ابن عساكر عن المزني قال :" المزني قال لما وافى الشافعي مصر قلت في نفسي إن كان أحد يخرج ما في ضميري وتعلق به خاطري من أمر التوحيد فهو ، فصرت إليه – أي الشافعي – وهو جالس في مسجد مصر فلما جثوت بين يديه قلت له: إنه قد هجز في ضميري مسألة في التوحيد فعلمت أن أحدًا لا يعلم علمك فما الذي عندك؟ فغضب – أي الشافعي – ثم قال لي : أتدري أين أنت جالس؟ قلت : نعم أنا جالس بفسطاط مصر في مسجدها بين يدي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي.

قال: هيهات إنك (بتاران وجنبلان) ، يضربك تياره وأنت لا تعلم ، وهذا هو الموضع الذي غرق فيه فرعون ، أَبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك ؟ فقلت : لا .

فقال: هل تكلم فيه الصحابة؟ فقلت لا . فقال لي : تدري كم نجم في السماء؟ فقلت لا .

قال فكوكب من هذه الكواكب الذي تراه تعرف جنسيته طلوعه وأفوله ؟ مم خلق؟ قلت لا.

قال فشيء تراه بعينك خلق ضعيف من خلق الله لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟

ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه ثم قال لي شيء تحتاج إليه في اليوم مرارًا خمسة تدع تعلمه ، وتتكلف علم الخالق إذا هجس في ضميرك ذلك. فارجع إلي الله . وإلى قوله عزوجل: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ



دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة ١٦٣ – ١٦٤]

فاستدل بالمخلوق علي الخالق . ولا تتكلف علم ما لا يبلغه عقلك . فقلت: فقد تبت إن عدت في ذلك " (١).

إن علماء السلف ومنهم الإمام الشافعي قد استخدموا الدليل العقلي ملازما بالدليل النقلي لهداية الحيارى وافحام المعاندين والمكابرين ، ودعوة الملحدين للإيمان برب العالمين إلى جانب تقوية اليقين عند المؤمنين، مهتدين بهدي القرآن في مخاطبته للعقول ، حيث إن آيات العقيدة في القرآن أدلة نقلية عقلية، أي تخاطب العقل وتقنعه، فقد جاء القرآن الكريم بالأدلة الكونية في الأنفس والآفاق لإثبات وجود الله تعالى، متمثلة في بدائع وأحكام تصريفه لشؤون خلقه في نظام متكامل يتعلق بسائر المخلوقات، وقد وجدت هذه الكائنات على هيئة صالحة لاستخدام الإنسان لها، وتسخيرها وتذليلها للانتفاع بها.

نخلص مما سبق أن الإمام الشافعي الذي نهى عن الخوض في علم الكلام، كان إذا أُلجأ إليه لم يسكت، وكان يسأل عن الأدلة العقلية علي وجود الله فيجيب باقتدار، وهذا دليل علي أنه كان خبيرًا بعلم الكلام، فلم يكن قاصر الباع؛ بل إذا جاءه البعض مفتوناً بعلم الكلام- الذي كان يطلق آنذاك علي القدرية والمعتزلة وأصحاب الهوي- لم يجد بدّاً من الإجابة فإنه يدافع عن العقيدة الإسلامية بالطريقة العقلية ويناظر فيها.

(١) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلي أبي الحسن الأشعري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٤هـ)، ص:٣٤٢.



المطلب الثاني: صفات الله تعالى

إن الإمام الشافعي الذي نهى أصحابه عن الخوض في الكلام؛ لأنه كان مقترنًا بالقدرية والمعتزلة، لا يتصور منه إلا أن يكون متسقًا في منهجه وهو يتحدث عن صفات الله سبحانه.

فقد أثبت الإمام (الشافعي) أسماء الله تعالى وصفاته، وأن مصدرها ما ورد عن الله وعن رسوله على الوجه الذي يليق به، ويدعو إلى التمسك والأخذ بما ورد في القرآن والسنة من أسماء الله الحسنى ، كالعليم والسميع والبصير والقدير، وصفاته ومع ذلك أكد القرآن حقيقة ثابتة (ليس كمثله شيء) .

فقد وردت عنه عبارات تشيرإلى موقفه في مسألة الصفات الإلهية، ثم زاد الأمر وضوحًا بهذا النص المهم عنه.

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: "لله أسماء وصفات جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحد قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله القول بها، فمن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرَّوِيَّة والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن، ووردت بها السنة، وننفي عنه التشبيه كما نفاه عن نفسه[1] فقال : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى ١١]

وقد حوى النص إشارة مهمة هي: أن الإمام الشافعي قد أثبت أن صفات الله

(١) ابن حجر: في «الفتح» (٤٠٧/١٣)، الذهبي: سير أعلام النبلاء،٢/ ١٥٢-١٥٣ .



سبحانه إنما تتلقى بالسمع لا بآراء الخلق، ويصرح أن إثبات مسائل الاعتقاد تتوقف على ثبوت الخبر، وأنَّ صفاته تعالى وتصورها لا يكونان بالعقل، إذ دخول العقل في هذه المسألة هو الذى جر علي المشبهة تشبيههم وتجسيمهم، حيث ساووا بين صفات الخالق بصفات المخلوق، وكأن بالشافعي بعبارته (لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر) يشير إلى السبب الحقيقي الذى أبعد المعطلة والمجسمة عن الحق في مسألة الصفات التي لا تعلم إلا من الله عن طريق رسوله.

ثم يذكر كلمة جامعة في إثبات صفات الله تعالى ، وتنزيهه عن النقائص، قال في خطبة كتابه الرسالة:" ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته. الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه. أحمده حمدًا كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه" [١].

فلله صفات أزلية موجودة بذاته لم يزل ولا يزال بهذه الصفات، ولا يشبه شيء منها شيئا من صفات المخلوقات كما لا تشبه ذاته ذات المخلوقين، وأن أوصافه فوق ما يصفه به الخلق، فتضمنت هذه الكلمة إثبات صفات الكمال لله الذي أثبتها لنفسه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، وأن ما وصف به نفسه فهو الذي يوصف به لا ما وصف به الخلق .

يقول الإمام فخر الدين الرازي شارحًا ومفسرًا لكلام الإمام الشافعي مسترشدًا به:" اعلم أن الصفات: إما صفات الجلال ، وإما صفات الإكرام .

أما صفات الجلال: فالمراد منها تنزيهه تعالى عن: الجسمية والجوهرية والمكان، وذكر الشافعي في خطبة كتاب الرسالة [أنه لا يبلغ الواصفون كنه عظمته، وأنه كما وصف نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه]، وهذا الكلام يدل على

(١) الشافعي: الرسالة تحقيق: أحمد شاكر، (مصر مكتبه الحلبي، ط١، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م)، (٨/١).



أنه كان يعتقد أنه تعالي ليس بجسم، ولا في جهة، وإلا لبلغ الواصفون كنه عظمته، وهذا القدر وإن كان كلامًا قليلًا إلا أنه كاف في الغرض كما أن قوله تعالي (ليس كمثله شيء) كاف في الغرض، وأما صفات الإكرام: فالمراد منها كونه تعالي قادرًا عالمًا حيًا "[١]، ولزم في عقيدته طريقة التفويض من اثبات الصفات من غير تعريض لها بتحريف أو تمثيل أو تكييف.

ومما يدل على تداخل علم الكلام والفقه، وأن بعض مسائل علم الكلام لها حلول فقهية والعكس، ما جاء عن الإمام الشافعي- رحمه الله- في الحلف بغير الله.

عن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي - رحمه الله- " :من حلف بالله أو باسم من أسماء الله، فحنث فعليه الكفارة، ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل: والكعبة، وأبي، وكذا وكذا ما كان، فحنث؛ فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: لعمري. قال: وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها [٢]من قِبَلِ قول رسول الله (ﷺ) : «إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ[٣]».

فجعل الإمام الشافعي اليمين باسم من أسماء الله كاليمين بالله، ومن حلف بشيء غير الله لاينعقد يمين، كمن حلف بمخلوق لم تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ، مع كراهية ذلك ، مالم يقصد به من التعظيم ما يعتقده في الله؛ لأن الحالف لو قصد ذلك يدخل في دائرة الكفر والعياذ بالله.

---

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص:١٠٨، ١٠٩.

(٢) الشافعي: الأم (بيروت: ط/ دار المعرفة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ١٤٩/٨، وابن أبى حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، ص: ١٤٨، البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٠٤/١، ٤٠٥

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ،برقم (٦١٠٨)، ومسلم ، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله برقم (١٦٤٦).

ثم قال:" من حلف بعلم الله وبقدرة الله وبحق الله فإن أراد بعلم الله معلومة وبقدرة الله: مقدوره ويحقه: ما وجب له تعالي علي العباد فهذا لا يوجب الكفارة، لأن هذا حلف بغير الله تعالي وإن أراد به: الحلف بصفات الله فهذا يوجب الكفارة" [١].

أي من أقسم بعلم الله وهي من صفاته سبحانه وأراد بها المعلوم فهو يمين لغو، وأما إذا قصد علم الله فهو يمين صحيح وحنث فعليه كفارة .

يعلق الإمام الرازي هذ بقوله :" قال الأصحاب : وهذا يدل علي أن صفات الله تعالي عنده ليست أغيارًا لذاته؛ لأنه لما زعم أن الحلف بغير الله لا يوجب الكفارة، وزعم أن الحلف بصفات الله يوجب الكفارة كان هذا دليلاً علي أنه يعتقد أن صفات الله تعالي ليست أغيارًا لذاته . فإن قيل : فلعله كان يعتقد أن صفات الله عزوجل هي عين ذاته ، قلنا: هذا باطل في بديهة العقل؛ لأن وصف الشيء بعين ذاته محال في العقول ووصفه تعالي بأنه عالم قادر غير ممتنع في العقول، فهذا يدل على أن هذه الأوصاف ليست غير ذاته ولا عين ذاته "[٢]

و قضية الاسم والمسمى ، والذات والصفات، وشيوع قضية القياس في التوحيد مثل هذه القضايا كانت تؤرق الشافعي ولا يري قيمة للخوض فيها بل قد تضر بعقيدة المؤمنين عن يونس بن عبد الأعلى، قال: سمعت الشافعي يقول: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المُسمى، أو الشيء غير الشيء، فاشهد عليه بالزندقة.[٣] فبين الشافعي أن صفات الله هي ذاته ، وليست مغايرة للذات.

---

(١) الإمام فخر الدين الرازي: مناقب الإمام الشافعي،ص: ١١٠

(٢) الإمام فخر الدين الرازي: مناقب الإمام الشافعي،ص:١١٢.

(٣) ابن عبد البر: الانتقاء ،ص:٧٩.



وقد أثبت أهل السنة صفات معاني لله تعالى أي أنها لكل صفة معنى وجودي لا ينفك عن الله تعالى قديمة قدم الذات، وقالوا: إن الله تعالى (حي عليم قادر مريد سميع بصير متكلم)،

" فالباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر، وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ، ولا هو هي وغيره ، وهذا خلافًا للمعتزلة "[١]، فالصفات لا تنفك عن الذات من حيث الوجود ، لكن الذات غير الصفة، أي" أن صفات الله موجودة به قائمة بذاته ومختصة به" [٢].

ويعلق البيهقي على هذا النص بقوله: فجعل اليمين باسم من أسماء الله كاليمين بالله، ومن حلف بشيء غير الله فلا كفارة عليه. فتبين بذلك أنه لا يقال في أسماء الله وصفاته أنها أغيار وإنما يقال أغيار لما يكون مخلوقًا"[٣]

الصفات الخبرية

حرص علماء المتكلمون على إثبات التنزيه المطلق لله تعالى؛ من هذا المنطلق ذهب المعتزلة إلى ضرورة تأويل الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها التشبيه إلى معان تليق بذاته تعالى، لأنهم رأوا أن القول بثبوتها لله على حقيقتها يوهم التشبيه والتجسيم " [٤]

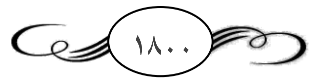
---

(١) شرح جوهرة التوحيد ،ص: ٥٦، وشرح العقائد النسفية، ص: ٧٦ .

(٢) أبو المظفر: طاهر بن محمد الأسفراييني، (ت:٤٧١هـ)، التبصير في الدين ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (لبنان: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص:١٦٥.

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٠٤/١..

(٤) القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة تحقيق د/ عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م ،ص ٢٢٦- ٢٢٩.



وأما الأشاعرة فالمتقدمون منهم كالأشعري والباقلاني قد ذهبوا إلى إثبات جميع الصفات الخبرية بلا كيف [١]

أي أنهم يثبتونها دون تشبيه أو تأويل؛ وذلك كرد فعل لمذهب المعتزلة الذي أسرف في تأويل النصوص الدينية التي وردت بها هذه الصفات.

والمتأخرون من الأشاعرة كالبغدادي والجويني والغزالي وغيرهم من الأشاعرة ذهبوا إلى تأويل الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها التشبيه إلى معنى يليق بذاته المقدسة "[٢] التأويل يقول به جمهور الأمة اعتمادا على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة

وخص الإمام الغزالي التأويل بالعلماء دون العامة الذين لا يصلح معهم مثل هذا التأويل [٣]

وأما الكرامية فلم يكتفوا بإثبات هذه الصفات الخبرية وإنما في أسرفوا فى إثباتها حتى أطلقوا على الله جسم وأنه مماس للعرش والعرش مكان له وأنه محل للحوادث [٤]

وأما السلف فقد " لخص إمام الحرمين موقفهم في ثلاث نقاط. تنزيه الرب عن صفات المحدثات، وعدم الخوض في تأويل هذه النصوص، والاعتقاد بأن لها معان حقيقية يعلمها الله تعالى ورسوله " [٥]

---

(١) الإمام الأشعري الإبانة عن أصول الديانة تحقيق د فوقية حسين محمود . دار الأنصار القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٢١ وما بعده، وانظر الإنصاف للباقلاني ص ٤١ – ٤٢

(٢) الإمام الغدادي: أصول الدين ، دار الأفاق الجديدة بيروت الأولي – ١٩٨١ م، ص ١١٠ – ١١٣ ، وانظر الارشاد للجويني ٥٩، ٦٠، ١٤٦ وما بعدها ، الإمام الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م ، ص ٣٥، ٤٠.

(٣) الإمام ا لغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ،ص ٣٦.

(٤) أبو المظفر الاسفرايني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . ص ٦٥ ٦٦

(٥) هوامش على العقيدة النظامية ص١٩٠،و ابن ابي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية . تحقيق جماعة من العلماء المكتب الإسلامي بيروت ط الثامنة ١٩٨٤م ،ص ٢٨٥ وما بعدها.



هكذا تشعبت آراء العلماء في المسألة إلى مؤول لهذه الصفات كالمعتزلة ومتأخري الأشاعرة، وإلى مغال في إثباتها حتى وقع في التجسيم كالكرامية، وإلى مثبت لها مع تنزيه الله عن التشبيه ونفى التأويل وتفويض العلم بحقيقتها لله تعالى ورسوله.

فبأي هذه الآراء قال الإمام الشافعي؟

قال ابن كثير –رحمه الله– : وقد روي عن الربيع وغير واحد من أصحابه – أي الشافعي– ما يدل على أنه يمر بآيات الصفات وأحايثها، كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف على طريقة السلف"(١).

لزم في عقيدته طريقة التفويض من اثبات الصفات وإمرارها كما جاءت من غير تعريض لها بتأويل أو تحريف أو تمثيل أو تكييف، ويذكر إثبات مسائل الاعتقاد على ثبوت الخبر

فهذا يفيد أن الشافعي يصف ربه بما وصف به نفسه سبحانه وأنه يرفض التشبيه كما يرفض التعطيل اللذين قال بهما بعض الفرق، فإن إجابة الشافعي عن سؤال وجه إليه في هذه المسألة توضح مذهبه فيه فكانت شدة نكير الشافعي إذن لعلم الكلام ليست لذاته، إنما لاختلاطه بقضايا لا تساعد المؤمن على ايمانه، فهو لا يرفض العلم كعلم إنما يرفض منه انحرافه عن منهجه الإسلامي .

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٦٥/١٠.



المبحث الثاني

مسألة خلق القرآن وموقف الإمام الشافعي منها

كانت أشهر قضية كلامية أثارت جدلاً كبيرًا فى عصر الإمام (الشافعي)، واستغرقت كثيرًا من الجهود، فكرة خلق القرآن التي قال بها المعتزلة وآمن بها (المأمون) ومن جاء بعده، وحملوا الناس عليها.

فقد ذهبت المعتزلة إلى القول بخلق القرآن[١]– وكلمة (مخلوق) أي كان معدومًا ثم وُجد – وخلاصة قولهم :إن المسألة راجعة إلى الصفات، وقولهم إن قدم الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء، وبما أن الكلام صفة من صفاته ليست قديمة –على زعمهم – قالوا بخلق القرآن وحدوثه ؛ لأنه من كلام الله حروف وأصوات يخلقها الله تعالى في خلقه كاللوح المحفوظ أو الملك جبريل أو النبي، وهو حادث، " فهم يقولون بحدوث الكلام، زعمًا منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات وذلك مستحيل على الله تعالى، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق لأن الله خلقه في بعض الأجرام "[٢]

---

(١) اختلف مؤرخو الفرق الإسلامية عن أول من تكلم في هذه المسألة من المسلمين على ثلاثة أقوال :-
القول الأول: ما ذهب إليه ابن قتيبة والأيمي : أن أول من تكلم في هذه مسألة خلق القرآن هو المغيرة بن سعيد العجلي الذي كان من اتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وقتله خالد بن عبد الله القسري عام ١١٩م لإيغاله في مسائل التجسيم وغيرها. راجع: المواقف، للإيجي، ص:٤١٩.
القول الثاني: ما ذهب إليه الخطيب البغدادي، وابن الأثير: إلى ارجاع هذه المسألة إلى اليهود وقالا إن بشر المريسي من كبار الدعوة إلى هذه المسألة وأن أباه كان يهوديًا صباغًا في الكوفة ، وأن طالوت اليهود على قول ابن الأثير هو أول من تكلم في هذه المسألة ، راجع: تاريخ بغداد، (٦١/٧) ، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، .(٧/ ٤٥).
القول الثالث: ما ذهب إليه ابن نباته وجمال الدين القاسمي : ن أول من تكلم بالمسألة من أمة محمد الجعد بن درهم إذ أخذ هذه المقالة عن ابان بن سمعان ، وأخذ ابان بن سمعان عن طالوت بن اخت أعصم الذي سحر النبي صلي الله عليه وسلم، راجع: تاريخ الجهمية والمعتزلة جمال الدين القاسمي ص : ٢٧.
هذا أصل المسألة وقد دفع الجهم حياته ثمنا لها وبقيت المسألة مخيفة ضمن حلقات المعتزلة حتى جاء بشر المريسي فجهر بها، واتخذها المعتزلة سبيلاً لاقامة المحنة على الأمة بمعاونة وتأييد خلفاء بني العباس المأمون ثم المعتصم ثم الواثق واستمرت من ٢١٢هـ حتي ٢٣٢هـ .

(٢) شرح الباجوري على الجوهرة،(القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٢م)، ٨٤/١



وكلام الله بلا صوت أو حرف؛ "لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر وذلك مستحيل على القديم سبحانه، وما دل من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا نهاية لها دليل على أنه ليس بحرف ولا صوت لوجوب التناهي فيما يصح وصفه بصوت وحرف" (١)

بينما خالفهم جمهور المسلمين وقالوا: إن القرآن الكريم كلام الله تعالي غير مخلوق، وكيف يكون كلام الله مخلوقًا وقد خَلَق الله الخلق بكلمة كن ، فقد ورد فى حلية الأولياء : " وإنما خَلَق الله الخلق ب " كن" ، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلق بمخلوق" (٢)

وكانت فتنة خلق القرآن في عصر(الشافعي) فاضطر أن يتكلم فيها، ويجيب عن الأسئلة التي توجه إليه فيها، وبما أن القرآن كلام الله، وكلام الله من صفاته، وصفاته سبحانه قديمة كذاته، فهذا معتقد الشافعي في القرآن، ورد :"أن الشافعي سُئل عن القرآن فقال: كلام الله منزل غير مخلوق "(٣).

وقد أجمعت الروايات على أن (الشافعي) ذهب إلى تكفير من قال بخلق القرآن، وبطلان صلاة المأموم الذي يصلي خلف من يقول بخلق القرآن.

قال الربيع: سمعت الشافعي– رحمه الله – تعالى يقول: "القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر"(٤).

وعن الربيع بن سليمان قال: "قال الشافعي – وهو يُسأل عن القرآن – فقال: أفٍّ ثم أفٍّ من قال: إنه مخلوق؛ فقد كفر"(٥).

(١) جار الله زهدي، المعتزلة، ص: ٢٦.
(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ١١١/٩.
(٣) ابن أبي حاتم الرازي: آداب الشافعي، ١٩٤- ١٩٥.
(٤) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ،٢٥٢/٢ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء،١٨/١٠ .
(٥) البيهقي: «معرفة السنن والآثار» (١٩١/١/٣٤٤).



قال الربيع: "لما كلم (الشافعي) – رحمه الله–(حفص الفرد) فقال (حفص): القرآن مخلوق. قال الشافعي: كفرت بالله العظيم"[١]

وقد "دخل عليه (حفص) هذا وهو في سكرات الموت فأغمي عليه ثم أفاق فجعل يسأله رجل بعد رجل فيقول: من أنا، فيقول: أنت فلان ابن فلان فقال له حفص: من أنا؟ فقال: أنت حفص لا حفظك الله إلا أن تتوب "[٢]

روي البغدادي أن الشافعي " كان يقول: ببطلان صلاة خلف من يقول بخلق القرآن "[٣]

مناظرات الشافعي مسألة خلق القرآن :

تبين من خلال البحث أن علم الكلام فى عصر الشافعي كان يطلق علي المعتزلة، وهم من تبني القول بخلق القرآن ، وقد ناظر الإمام الشافعي – في مسألة خلق القرآن – أحد منظيرهم فى هذا الوقت بأدلة عقلية نقلية .

عن أبي محمد الزبيري قال: قال رجل للشافعي، أخبرني عن القرآن خالق هو؟ قال الشافعي: اللهم لا، قال: فمخلوق؟ قال الشافعي: اللهم لا. قال: فغير مخلوق؟ قال الشافعي: اللهم نعم، قال: فما الدليل على أنه غير مخلوق؟ فرفع الشافعي رأسه وقال: تقر بأن القرآن كلام الله؟ قال: نعم. قال الشافعي: سبقت في هذه الكلمة، قال الله تعالى ذكره : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ [التوبة ٦] ،﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤ ﴾ [النساء ١٦٤]

---

(١) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٠٧/١.
(٢) المصدر السابق: ٤٧٠/١
(٣) أبو منصور البغدادي: الفرق بين الفرق ص: ٣٥٨

قال الشافعي: فتقر بأن الله كان، وكان كلامه؟ أو كان الله، ولم يكن كلامه؟ فقال الرجل: بل كان الله، وكان كلامه. قال: فتبسم الشافعي وقال: يا كوفيون إنكم لتأتوني بعظيم من القول إذا كنتم تقرُّون بأن الله كان قبل القبْل، وكان كلامه. فمن أين لكم الكلام: إن الكلام اللهُ، أو سوى اللهِ، أو غير اللهِ، أو دون اللهِ؟ قال: فسكت الرجل وخرج."[1]

قال الإسفرايني: " تناظر (الشافعي) في أيامه مع (بشر المريسي)[2] مناظرة عنيفة فلما عرف الشافعي أنه يوافق أهل السنة في مسألة، والقدرية في مسألة (خلق القرآن) قال له : نصفك مؤمن ونصفك كافر"[3]

وما كان للشافعي – مع كراهيته للجدل– أن ترك موقف كهذا دون أن يقول فيه كلمة حق يعتقدها، ويري ضرورة أن يعتقدها الناس؛ لأنها عقيدة السلف خير القرون .

هذه الأمثلة تشير إلي ما نود إثباته من أن الشافعي لم يبتعد عن الفكر في عصره، وأنه أخذ بأساليبه في خدمة الحق، فإذا أثر عنه ذم للجدل وعلم الكلام ليس عن جهل به، غير أنه لم يتكلم عن علم الكلام إلا بعد أن درسه وسبر غوره وأحاط بدقائقه.

ومن المناظرات العقدية في مسألة خلق القرآن ما ذكره الربيع بن سليمان قال:" حضرت الشافعي، أو حدثني أبو شعيب، إلا أني أعلم أنه حضر عبد الله بن عبد الحكم، ويوسف بن عمرو بن يزيد، وحفص الفرد، وكان الشافعي يسميه

---

(١) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٠٧/١، ٤٠٨.

(٢) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسي (معتزلي) وإليه تنسب المريسية من المرجئية ، وهو ممن كان يقول: بخلق القرآن ، ت (٢١٨هـ) راجع: ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: ظ. يوسف علي طويل، د. مريم قاسم طويل، (دار الكتب العلمية، ط١ ،١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ٢٧٧/١.

(٣) أبو المظفرالاسفراييني: التبصيرفي الدين، ص: ٩٢.



حفصًا المنفرد، فسأل حفص عبد الله بن عبد الحكم، فقال: ما تقول في القرآن؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو بن يزيد، فلم يجبه، وكلاهما أشار إلى الشافعي، فسأل الشافعي، فاحتج عليه الشافعي، وطالت فيه المناظرة، فأقام الشافعي الحجة عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكفَّر حفصًا الفرد، قال الربيع: فلقيت حفصًا الفرد في المجلس بعد، فقال: أراد الشافعي قتلي"(١).

وما كانت هذه المناظرات العقدية وغيرها من الإمام (الشافعي) في مسألة من مسائل علم الكلام وليدة الخاطرة العابرة؛ بل وليدة التأمل الوثيق، والتفكير العميق والدراية بمسائل علم الكلام .

عن الجارودي قال:" ذُكر عند الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل بن عُلَيَّة (٢) فقال – أي الشافعي – : أنا مخالف له في كل شيء، وفي قوله لا إله إلا الله، لست أقول كما يقول. أنا أقول: لا إله إلا الله الذي كلَّم موسى عليه السلام تكليمًا من وراء حجاب، وذاك يقول لا إله إلا اللهُ الذي خلق كلامًا أسمعه موسى من وراء حجاب" (٣)

هذا وقد تأثر بكلام الإمام (الشافعي) تلامذته، ومن سار على نهجه ورأيه في أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

سُئل المزني – وهو من أصحاب الإمام (الشافعي) –عن القرآن، فقال: (مذهبي مذهب الشافعي) قالوا: فأي شيء مذهب الشافعي؟ قال: " كان مذهب الشافعي أن كلام الله غير مخلوق"(٤)

---

(١) ابن أبي حاتم: مناقب الشافعي، ص: ٢٤٠، والبيهقي: مناقب الشافعي،٤٥٥/١.
(٢) قال عنه الذهبي: جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن. الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي،(لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م)، ٢٠/١ .
(٣) ابن عبد البر: الانتقاء،٧٩ ،والقصة ذكرها الحافظ عن مناقب الشافعي للبيهقي، (١ /٣٥).
(٤) اللالكائي : شرح أصول أهل السنة والجماعة، ٢٨٠/٢ .



ومما لا يخفي علي أحد أن الإمام (أحمد) من تلامذة الإمام (الشافعي)، وغني عن البيان محنة الإمام أحمد في ما سمي (فتنة خلق القرآن).

قال أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي:" مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر"(١)

"ودخل (حفص الفرد)علي (الشافعي) فكلمه، ثم خرج (الشافعي) فقال: لأن يلقي الله العبدُ بذنوب جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما جاء عليه هذا الرجل وأصحابه، وكان يقول بخلق القرآن "(٢)

لذا كان الشافعي شديدًا على أهل الأهواء وعلى الفرق المختلفة، فقد أثر عنه ذم القدرية ونُصحه لأتباعه بمجانبتهم بقوله:" لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم الحديث"(٣)

وما جاء عن الإمام الشافعي أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ينقل البيهقي رأي الشافعي في مسألة ذكرها:" فيمن حلف لا يكلم رجلا فأرسل إليه رسولا فقال الشافعي: من قال يحنث ذهب إلى أن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى ٥١]

وقال إن الله يقول للمؤمنين في المنافقين ﴿ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [التوبة ٩٤]، وإنما نبأهم من أخبارهم بالوحي الذي ينزل به جبريل على النبي

(١) أبو المظفر الاسفراييني: التبصير في الدين،ص: ٩٢.
(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٥٤/١.
(٣) المصدر السابق، ٤٦١/١.



ويخبرهم النبي بوحي الله. ومن قال : لا يحنث قال: إن كلام الآدميين لا يشبه كلام الله عز وجل ؛ كلام الآدميين بالمواجهة ألا ترى أنه لو هجر رجل رجلاً كانت الهجرة محرمة عليه فوق ثلاث ليال، وكتب إليه أو أرسل إليه، وهو يقدر على كلامه لم يخرجه هذا من هجرته التي يأثم بها ؟"(١)

ويعلق البيهقي على هذه الرواية بأن "الشافعي سمى على القولين جميعًا: إخبار الله عز وجل بالوحي الذي نزل به جبريل على النبي، وأخبر به النبي بوحي من الله تكليم الله عباده المؤمنين فالمؤمن يسمع كلام الله عز وجل من صاحب الرسالة ويحفظه ويتلوه ويكتبه، ويكون المسموع والمحفوظ والمتلو والمكتوب كلام الله "(٢). كذلك نقل البيهقي عن الشافعي قوله :" استحب القراءة في الطواف ، والقراءة أفضل ما تكلم به المرء" (٣)

أي أن الشافعي – فيما يقوله البيهقي – "جعل القراءة من كسب القارئ حين أضافها إلى تكلمه بها. وقوله :(القرآن كلام الله) دلالة على أنه كان يفرق بين القراءة والمقروء، فيجع القراءة من القارئ، ويعتقد في المقروء أنه كلام الله تعالى غير مخلوق"(٤)

ويقرر أهل الحق "أن كلام الله نوعان :

الأول : كلام نفسي، وهو الكلام حقيقة المعبر عنه بالألفاظ ليس من جنس الأصوات والحروف، بالصفة الأزلية قائمة بذاته تعالى"(٥)

---

(١) الشافعي: الأم، ١٨٢/٨، البيهقي، مناقب الشافعي، ١/ ٤٠٨ – ٤٠٩ .

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٠٩/١.

(٣) المصدر السابق، ٤١١/١.

(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤١١/١.

(٥) التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي (ت: ٧٩٣هـ)، شرح العقائد النسفية، تحقيق: د / أحمد حجازى السقا، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٩٨٧م)، ص: ٨٦- ٩٠.



جاء في القرآن الكريم (ويقولون في أنفسهم) وفى قول عمر " زودت في نفس مقالة" (١)

والكلام النفسي صورة للعلم الذاتي في النفس، كما أن العلم صورة للمعلوم فيها، لذا كان كلامه تعالى لا نهاية له كعلمه" (٢)

والثاني : الكلام اللفظي، وهو الحروف والأصوات وهذا يقولون بحدوثه، وعدم قيامه بذاته تعالى، وهو القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة (٣)

وأن الخلاف الحاصل بين أهل السنة والمعتزلة عائد إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه ، وأن القرآن هو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي، يقول الجرجاني: " وما نقوله نحن : كلام النفس المغاير لسائر الصفات، فهم ينكرون ثبوته، ولو سلموه لم ينفوا قدمه، فصار كل النزاع نفي المعنى النفسي أو إثباته" (٤) .

أي أن اهل السنة لا ينكرون على المعتزلة الكلام اللفظي في القرآن في أنه حادث؛ إلا أن أهل السنة يثبتون لله كلامًا وراء الكلام اللفظي (كلامًا نفسيًا) وهو المعبر عنه بالألفاظ ، ولم تثبته المعتزلة

---

(١) شرح الباجوري على الجوهرة، ٦٥/١.

(٢) تعليقات السيد محمد رشيد رضا على رسالة التوحيد لمحمد عبده ٥٤/٥.

(٣) الإيجي: شرح المواقف، ٣/ ٧٩.

(٤) المصدر السابق، ٧٩/٣



كذلك رد أهل السنة على من غلا في إثبات قدم القرآن فقالوا إنه " عبارة عن حرف وصوت يقومان بذاته حتى غلا بعضهم فقال، الجلد والغلاف قديمان إضافة عن المصحف"[١]

فأهل السنة ناهضوا المعتزلة، وردوا أقوالهم ، وعدوها جرأة علي الله، وصرح الشافعي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بل حكم بكفر من زعم أنه مخلوق.

(١) المصدر السابق :١/٨٠.



المبحث الثالث
مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة

زعمت المعتزلة أن الله لا يرى في الآخرة حتى للمؤمنين، وقد أَوَّلوا الآيات التى وردت في ذلك ، بينمايرى أهل السنة جواز رؤية الله في الآخرة للمؤمنين عقلاً، ويؤيدون كلامهم بالسمع ، ومذهب الإمام الشافعي فى هذا هو ماقاله جمهرة علماء السلف وعليه أهل السنة : وهو أن أولياء الله يرون ربهم في الآخرة ، قال المزني:"سمعت الشافعي يقول فى قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [سورة المطففين: ١٥] دليل على أن أولياء الله يرونه فى الآخرة "(١) .

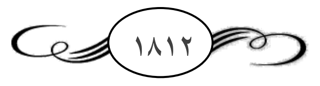
بل بَيَّن الشافعي أن الطمع في رؤية الله يوم القيامة من دوافع عبادته لله في الدنيا.

قال الربيع بن سليمان : "حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد - صعيد مصر - فيها: ما تقول في قول الله :﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾[سورة المطففين: ١٥] ؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى، قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عَبد الله" (٢).

---

(١) ابن عبد البر: الانتقاء، ٨١ – ٨٢.

(٢) ابن عبد البر: الانتقاء، (١٩٨، ١٩٩)، البيهقي: مناقب الشافعي، (١٣١/١)، ابن السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، (الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ)، ٨١/٢.



ورد عن الحافظ ابن كثير في تفسيره:" وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله :﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝﴾ [سورة القيامة: ٢٢، ٢٣]

وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة"(١).

كما أن الله تعالى جعل من سخطه على الكفار أنهم سيحجبون من رؤية أنوار الله يوم القيامة، وفي المقابل علامات رضاه على أوليائه والزيادة في الحسنى، رؤية الله بكفية لا يعلمها إلا الله، وهذا ما صرح به الإمام الشافعي ويدين لله به .

(١)ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، (٣٥١/٨).



المبحث الرابع : مفهوم الإيمان

ورد عن الشافعي روايات تبين مذهبه العقدي في مفهوم الإيمان بما يتطابق مع أهل السنة أنه تصديق وقول وعمل، ويزيد وينقص ، قال السبكي:" وإلى مذهب السلف ذهب الإمام الشافعي ومالك وأحمد والبخاري وطوائف من لأئمة المتقدمين والمتأخرين "[1].

ومذهب السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص،وأن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان ،خلافاً للمرجئة .

روى ابن أبي حاتم :"اجتمع حفص الفرد – من المرجئة صاحب بدعة – ومصلاق الإباضي عند الشافعي في دار الجروي – يعني بمصر – فاختصما في الإيمان فاحتج مصلاق في الزيادة والنقصان، واحتج حفص الفرد في أن الإيمان قول، فعَلا حفص الفرد على مصلاق، وقوي عليه، وضعف مصلاق ، فحمي الشافعي وتقلد المسألة على أن الإيمان : قول وعمل يزيد وينقص فطحن حفصًا الفرد وقطعه "[2].

وقد روى البيهقي – رحمه الله–بسنده عن الربيع بن سليمان المرادي قال سمعت الشافعي – يقول:" الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" [3].

مناظرة الإمام الشافعي لأحد الجهمية فى الإيمان

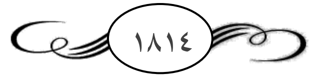
قال الربيع بن سليمان : سأل رجل من أهل بلخ الشافعي عن الإيمان ، فقال للرجل: فما تقول أنت فيه؟ قال : أقول: إن الإيمان قول . قال: ومن أين قالت؟

قال: من قول الله تعالى : ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ

(١) ابن السبكي: طبقات الشافعية، ١/١٣٠.

(٢) ابن ابي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه ١٩١، والبيهقي، مناقب الشافعي ١/٣٨٧.

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، ١/٣٨٥ ، ابن عبد البر: الانتقاء، ص: ٨١ .



قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٥– ٢٧٧]

فصارت الواو فصلاً بين الإيمان والعمل ، فالإيمان قول، والأعمال شرائعه. فقال الشافعي : وعند الواو فصل؟ قال : نعم .

قال: فإذًا كنت تعبد إلهين : إلهًا في المشرق وإلهًا في المغرب؛ لأن الله تعالى يقول :﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرحمن: ١٧]

فغضب الرجل وقال : سبحان الله، أجعلتني وثنيًا؟، فقال الشافعي: بل أنت جعلت نفسك كذلك. قال كيف؟ قال: بزعمك أن الواو فصل. فقال الرجل: فإني أستغفر الله مما قلت، بل لا أعبد إلا ربًا واحدًا، ولا أقول بعد اليوم : إن الواو فصل، بل أقول: إن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. قال الربيع: فأنفق على باب الشافعي مالاً عظيمًا ، وجمع كتب الشافعي، وخرج من مصر سنيًا"(١).

وتعقيبًا على هذا القول يقول د محمد ربيع الجوهري:" بنظرة عابرة إلي هذه النصوص يتبين لنا أن الشافعي رحمه الله يرى رأي علماء الحديث في تعريف الإيمان من أنه يتكون من ثلاثة أركان: تصديق بالقلب ،ونطق بالشهادتين باللسان ،وعمل للشرائع بالجوارح ؛ لكننا نريد أن ننبه أن الشافعي لا يجعل هذه الاركان في قوة واحدة بمعنى أنه لا يلزم من فقد أحدها ، وهو العمل بالأركان ذهاب حقيقة الإيمان عن الشخص ، والحكم عليه بالكفر ،ويكون مراد الشافعي بالإيمان (الإيمان الكامل) أي من جمع هذه الأركان الثلاثة فقد استكمل الإيمان".(٢)

(١) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء: ٩/ ١١٠.

(٢) د/ محمد ربيع الجوهري: الإمام الشافعي وعلم الكلام، ص:٨٩.



ويبين أهل الحق أن الأعمال شرط لكمال للإيمان وليس شرطًا لصحة الإيمان يقول الإمام الجويني:" إن الأعمال لابد منها لكن تاركها مفسق لا مكفر، فلم يشددوا كالخوارج والمعتزلة، ولم يهونوا أمرها كالمرجئة، فقالوا إن الإيمان: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان". (١)

وقال الحاكم في مناقب الشافعي: حدثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع، وزاد: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٢)، ثم تلا :﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١]

ويذهب الشافعي إلي أن الإيمان يزيد وينقص فيقول:" إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات، فمنها التام المنتهي تمامه، والناقص البين نقصانه، والراجح الزائد رجحانه"(٣).

---

(١) الإمام الجويني: الإرشاد، ص ٣٩٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ٤٧/١.

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، ٣٨٧، السبكي، طبقات الشافعية: ٦٥/١.



يقول الإمام النووي:"والذي ذهب إليه أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن العمل يدخل ضمن الإيمان، وهذا يزيد وينقص، فما زاد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، لأن التصديق يكمل بالطاعات وبهذه الجملة يزيد الإيمان وينقص، فمتى زادت أعمال البر ازداد الإيمان كمالًا، ومتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان"(١)

هذا وقد تصدى الشافعي بالرد على المرجئة الذين يكتفون بالقول باللسان، ويضيعون العمل ، وذلك لما يترتب على هذا من انحلال في المجتمع وإبطال لنصوص الشرع . قال الشافعي:" ما أعلم في الرد على المرجئة شيئًا أقوى(٢) من قول الله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة: ٥]

وحكمه هذا مبني على معرفته بمعتقدات الفرق الإسلامية في عصره ، وقد اتضح هذا فيما أثر عن الشافعي في مكان آخر.

قال البوطي – تلميذ الشافعي – سألت الشافعي أصلي خلف الرافضي ؟ قال لا تصل خلف الرفضي، ولا القدري ، ولا المرجئ قلت : صفهم لنا. قال: من قال: الإيمان قول فهو مرجئ ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي ، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري"(٣)

الرفضي الذي يرفض امامة بوبكر وعمر والقدري الذي يقوم بإنكار القدر، والمرجئة يزعمون أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ،

(١) شرح النووي لصحيح مسلم: ص ١٤٦.
(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، (١/ ٢٨٦)
(٣) الذهبي: سير اعلام النبلاء ، (١٠/ ٣١)



وما جاء عن الإمام الشافعي في ذم الرافضة عن حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي يقول: لم أر أحدًا من أصحاب الأهواء أشهد بالزور من الرافضة[١].

وكذلك كان شديدًا على الرافضة بل أنه أجاز شهادة أهل الأهواء جميعًا ما عدا الرافضة لأنهم يشهد بعضهم لبعض" [٢]

حكمه بأن الرفضة مزورون في شهادتهم، فهذا من واقع إنكارهم الأفضلية من نص رسول الله علة فضلهما، أي أن الشافعي لا يكاد يثق برواية واحد منهم ، وعن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي إذا ذكر الرافضة عابهم أشد العيب، فيقول: شر عصابة[٣].

ثم يبين حكم قتال الخوارج : يقول الشافعي: " لو أن قومًا أظهروا رأي الخوارج، وتجنبوا جماعات الناس، وكفروهم، لم يحل بذلك قتالهم ؛ لأنهم علي حرمة الإيمان لم يصيروا إلي الحال التي أمر الله عزوجل بقتالهم فيها"[٤].

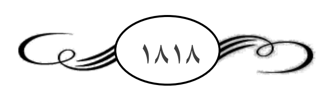
فقد عرف الشافعي معتقدات الفرق في عصره، وتكلم في بيان وجه الحق حيث اقتضت الظروف ذلك ، وقد كانت له آراء في هذه الفرق، بناها على مجافاة معتقداتهم للصواب وبعدها عن عقيدة السلف الصالح خير القرون ، كل هذا يزكى فهمنا أن الشافعي عاش فكر عصره عقيدة وفقهًا ، ولئن اشتهر فقهه أكثر .

(١) ابن أبي حاتم: مناقب الشافعي، ص:٢٣٢ ، ابن عبد البر: الانتقاء،ص :١٩٩، ٢٠٠).

(٢) ابن أبى حاتم الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، ص: ١٩٨.

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، ٤٦٨/١.

(٤) الشافعي: الأم، ١٣٦/٤.



المبحث الخامس: القدر وأفعال العباد

عن الربيع بن سليمان قال: سئل الشافعي عن القدر فأنشأ يقول :

فَمَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ وَإِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ... وَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ ... وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ

وَمِنْهُمْ فَقِيرٌ وَمِنْهُمْ غَنِيٌّ ... وَكُلٌّ بِأَعْمَالِهِ مُرْتَهَنْ(١)

وقد قال الحافظ ابن عبد البر: "ومن أحسن ما قيل من النظم – في قِدَمِ العمل، وأن ما يكون من خلق الله فقد سبق العلم به، وجف القلم به، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء لا ما شاء غيره – قول الشافعي...، ثم ذكر الأبيات السابقة، ثم قال: كل ما في هذه الأبيات معتقد أهل السنة ومذهبهم في القدر لا يختلفون فيه، وهو أصل ما يبنون في ذلك عليه(٢).

وقال أيضًا: ومن شعره – الشافعي – الذي لا يُختلف فيه، وهو أصح شيء عنه...، فذكر الأبيات السابقة ثم قال: وهذه الأبيات من أثبت شيء في الإيمان بالقدر(٣).

وعن الربيع قال: حدثنا الشافعي – يعني في كتاب صلاة الجمعة –" قال الشافعي : قال الله تعالى :﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة التكوير: ٢٩] ، فأَعلمَ خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء، والمشيئة إرادة الله عزوجل"(٤).

---

(١) أخرجه اللالكائي (٧٠١/٤، ٧٠٢ / ١٣٠٢) ،والبيهقي في «القضاء والقدر» ص (٣٢٨)، و«مناقب الشافعي» (٤١٣/١)، و ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١٥/٥١).

(٢) «الاستذكار» (٢٦٥/٨).

(٣) «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» ص (٢٠٢، ٢٠٣).

(٤)البيهقي في «المناقب» (٤١٢/١) ، ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣١٥)، ابن عبد البر في «الانتقاء» ص (٢٠٢، ٢٠٣).



وقال الإمام البيهقي [1]" وكان – الإمام الشافعي – يرى الاستطاعة مع العمل؛ فقد قال في أول كتاب «الرسالة»[2]: الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمةٍ من نعمه إلا بنعمةٍ منه توجب على مؤدي ماضي نعمة بأدائها نعمة حادثة يجب عليه شكره بها، وقال بعد ذلك: وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه...

وقال في كتاب آخر[3]: " فهدى الله تعالى بكتابه، ثم على لسان نبيه (ﷺ)، من أنعم عليه، يعني: من أنعم عليه بالسعادة والتوفيق للطاعة دون من حُرِمها، فبين بهذا أن الدعوة عامة، والهداية التي هي: التوفيق للطاعة، والعصمة عن المعصية خاصة، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥]

وكان يكره الصلاة خلف القدري ، وكان يذهب إلى أن القدري هو الذي يقول:" إن الله عزوجل لم يخلق الشر حتى عمل به"[4] .

ومعنى هذا – كما يقول البيهقي– أن الشافعي كان يري أن الشر خقًا من خلق الله عزوجل وكسبًا من كسب من عمل به. وكان يرى الإستطاعة مع العمل"[5].

يقول الشافعي:" إن مشيئة البعباد هي إلي الله تعالى ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين؛ فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم، وهي خلق من خلق الله تعالي"[6]

---

(١) مناقب الشافعي، (٤١٤/١).

(٢) «الرسالة» (٨/١).

(٣)هذا في كتاب «التفسير» للإمام الشافعي (٩٦٨/٢).

(٤) البيهقي : مناقب الشافعي، ص ٤١٤.

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) البيهقي: المصدر السابق: ٤١٥.



موقف الشافعي من عصر فتنة الصحابة :

كان الشافعي يكره أن يخوض فيما شجر بين الصحابة مع اعتقاده أنَّ علياً رضي الله عنه كان على حق ، ويقول:" ماساق الله هؤلاء الذين يتقولون في (علي)، وفي (أبي بكر وعمر)، وغيرهم من أصحاب النبي إلا ليُجري الله لهم الحسنات وهم أموات " (١)

وقال رحمه الله :" قيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في أهل صفين؟ قال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني فيها" (٢)

ومما يجدر التنبيه إليه أن البحث لم يهدف استقصاء كل ما ورد عند الإمام الشافعي من قضايا كلامية ، فذلك مما يطول شرحه وتفصيله، فما ذُكر هو من باب ذِكر المثال الذي يدل علي مثله.

بعد هذه الإطلالة علي أبرز القضايا الكلامية عند الإمام الشافعي، يتبين منها أنها لا تخرج عما يعتقده أهل السنة، وأن الإمام الشافعي كان متمرسًا في علم الكلام ، وأخذ منه بحظ وافر، وناظر فيه، وكأنه يريد به الكشف عن أفضل طرق الاستدلال فيه، فلم يكن ذمه لعلم الكلام دون معرفة أو دراية به، بل كان عالمًا به؛ لكنه أراد أن يصحح مساره ، فقد كان علم الكلام فى زمن الشافعي يطلق على القدرية والمعتزلة، وأصحاب الأهواء والزيع ، والمناهج الفاسدة، وسيتضح الأمر أكثر بعد بيان منهجه العقلي في تناول القضايا الكلامية .

---

(١)أبو نعيم الأصبهاني: الحلية، ١/١١٤.

(٢)البيهقي: مناقب الشافعي، ١/ ٤٤٩



الفصل الثالث : **المنهج الفكري عند الإمام الشافعي وأثره في علم الكلام** .

المبحث الأول : **مقومات المنهج الفكري عند الإمام الشافعي**:

يُعد الإمام الشافعي من أئمة الفكرالإسلامي الذين تبوؤا مكانة بالغة في تأسيس منهج علمي، وتأصيل عقدي لعلم الكلام في سياق ظروف عصره السياسية، والفكرية؛ حيث كان في بيئة تعددت فيها الفرق، والمذاهب والتيارات، ونشبت الخلافات، والمناظرات سيما في حالة الانفتاح علي الموروث الثقافي للحضارات المتباينة إبان الفتوحات الإسلامية مما كان للشافعي فيه سهم وافر فى الجانب الحجاجي فَأَصَّلَ لمنهجه العقدي والفقهي .

ويمكن استنباط بعض مقومات المناهج العلمية للإمام الشافعي فى علم الكلام من خلال ما تم عرضه، ودراسته فيما سبق ذكره :

أولاً: **المرونة** :

كان للشافعي منهج متفرد في المناظرة متوقف على تحقيق المراد بكلمات موجزة لها فصل في المقال، بل كان يلتزم بأدب المناظرة "قال الشافعي: ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وددت أنه عند كل أحد، ولا ينسب إلي"(١).

فكان لديه نبل، وسمو، روح فما ناظر أحدًا ليظهر عليه، أو ليعتد بحجته، وقوته بل كان يريد أن يهتدي مُناظِرهِ إلى طريق الحق، ويعينه رغبة للحق، واستجابة للحجة والدليل، فيبين منهجه وطريقته، وليربي عليها من حوله، فكان يقول: "ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق، ويسدد، ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدا إلا ولم أبال بيَّن الله الحق علي لساني، أو لسانه"(٢)

(١) ابن أبي حاتم: مناقب الشافعي ، ص: ١٤٤، البيهقي: مناقب الشافعي، ١٧٤/١، وابن عساكر: تاريخ دمشق،٣٨٤/٥١.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ٩/ ١١٨



فهذا يعني أن الشافعي يتميز بعدم التعصب، والجمود، بل كانت غايته الوصول إلي الحق على قاعدة رأي صواب يحتمل الخطأ، ويقول أيضًا: "ما ناظرت أحدًا على الغلبة إلا على الحق عندي"(١)، وقال: "ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة"(٢) .

ومما يدل على تمكنه العلمي، وتبحره المعرفي، حيث ينعكس ذلك على رحابة صدر العالم في قبول المخالف، وتواضعه في العلم، وما أُثرعن حسن عشرته، وعدم جموده ما حكاه (الصدفي) حيث قال: "ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال لي: يا أبا موسى لا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة"(٣).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعي الشافعي لبيان الحق، وإظهاره بغض النظر عن قائله؛ فالهدف من المناظرة الدعوة، وليس الانتصار، وهذا هو المثل، والخلق الرفيع الراقي الذى ينبغى أن نجعله قدوة فى أحاديثنا، ومناظراتنا لمن نختلف معه فى مسائل العقيدة.

ثانياً : المنهج العقلي عند الإمام الشافعي:

أَلمَّ الإمام الشافعي بأراء الفرق في عصره، وتكلم في بيان وجه الحق حيث اقتضت الظروف ذلك، وقد كانت له آراء في هذه الفرق، بناها على مجافاة معتقداتهم للصواب، وبعدها عن عقيدة السلف الصالح خير القرون ، قال أحمد بن حنبل : "ما رأيت أتبع للأثر من الشافعي"(٤) ، وقال الشافعي في مناظرة أيهما أعلم أبو حنيفة أم مالك، وقد انتصر الشافعي للإمام مالك لأنه أعلم بالسنة فقال: "فمن كان

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء،١٠/ ٢٩

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ٩/ ١١٨

(٣) الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، (ط/ دار العلم للملايين- الخامسة عشر- أيار- مايو- ٢٠٠٢م)، ١/ ١٣٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق،٥١/٣٠٢.

(٤) البيهقي:مناقب الشافعي (٤٦٩/١)، والهروي: ذم الكلام،٢٦٢/١.



أعلم بكتاب الله وسنة رسوله كان أولى بالكلام"[1]، وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله (ﷺ) فقولوا بسنة رسول الله (ﷺ) ودعوا ما قلت" [2].

فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكر في كيفية صفات الله؛ فهو كالذي يتكلف أن يبصر ما وراء الجدار، والواقع أنه لم يستخدم العقل مجردًا، وإنما كان يعصمه بالنص – قرآنا وسنة-؛ لذلك فهو يرفض القول بالرأي في دين الله تعالى .

ومن أهم ما أكد عليه الإمام الشافعي –رحمه الله- في منهجه أنه لا ينكر ما للعقل من أهمية، ولكنه بين أن له حدودًا لا يمكن أن يتجاوزها حتى لا يخرج عن حد الحقيقة إلى حيز الوهم، والخيال، فقال معبرًا عن ذلك: "إن للعقل حدًا ينتهي إليه كما أن للبصرحدًا ينتهي إليه"[3]، فهو-رحمه الله- يدرك أن العقل في الإنسان هو آلة للفهم، والإدراك، والنظر كما أن البصرآلة للرؤية والإدراك، وله حد ينتهي إليه كذلك العقل له حد ينتهي إليه، فإذا تجاوز حده فسد، فإدراك نقائص العقل البشري، وأوهامه ضرورة شرعية وعلمية.

وإذا كان الإمام الشافعي يحد من نطاق العقل فلا يدعه مع أهوائه وأخيلته حتى يرسم له منهاجًا غايته الإيمان- فيما يتعلق بأصل من أصول الدين- إلا أنه مع ذلك يوظف العقل في منهجه الفكري، فالعالم لا يأخذ بشيء، ولا يميل لرأي إلا بحجة وبرهان من الله، لذلك بين لطلابه يقول حرملة:"إن الشافعي كان يقول لهم:"كل ما قلت لكم، فلم تشهد عليه عقولكم، وتقبله، وتراه حقًا، فلا تقبلوه؛ فإن العقول مضطرة إلى قبول الحق"[4].

---

(١) ابن عبد البر: الانتقاء ،ص: ٢٤

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي ٤٧٢/١.

(٣) ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، ص: ٢٠٧، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص: ٣٣٧.

(٤) ابن أبى حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، ص: ٦٨، البيهقي: مناقب الشافعي ، ١٨٦/٢



فالخلاف الذى عرف بين الفقهاء، والمعتزلة خاصة، كان مبعثه الاختلاف فى منهج الاستدلال على القضايا العامة، وقضايا العقيدة خاصة، لأن الشافعي لم يهجر البحث في العقائد مطلقاً، ولم يسكت عن بيان حق تستوجبه ملابسات موجودة في عصوره، ولكنه أخذ ما أخذ به من مسائل العقيدة بمنهج أخر حرص فيه على أن يستوحى النص القرآني والحديثي دلالته في البحوث العقدية.

ويؤكد الشيخ مصطفي عبد الرازق استخدام الإمام الشافعي للمنهج العقلي بقوله: "إن هذا الاتجاه من الشافعي هو اتجاه العقل العلمي الذي لا يعني بالجزئيات والفروع، فكان تفكيره من ليس يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع، بل يعني بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها وذلك هو النظر الفلسفي"(١).

ويلاحظ أن المقولات الكلامية، وتقسيماتها واصلت حضورها في التفكير الفقهي، وترسخت بالتدريج كمرجعيات يصدر عنها هذا التفكير، من خلال استعارة أصول الفقه لهذه المقولات، وتشكيل قواعد استنباط الاحكام الشرعية في ضوئها، وواصلت مفاهيم علم الكلام نفوذها على الدوام في التفكير الاصولي.

فمثلا نلاحظ في كتاب"الرسالة" للامام للشافعي، وهو الكتاب الاول الذي وصلنا في اصول الفقه، والأهم في صياغته أن المباحث التي بنى على أساسها قواعده وترسيماته هي مرتكزات عقائدية كالبحث في مفهوم الحكم، وتصور الله سيدا ونحن عبيده، قضية كلامية.

إن في الرسالة نظامًا منطقيًا لاشك فيه يقول الشيخ مصطفي عبد الرازق: "إن من مظاهر هذا النظام الاتجاه المنطقي إلي وضع الحدود والتعاريف أولاً ثم الأخذ في التقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم، وقد يعرض الشافعي لسرد التعاريف المختلفة ليقارن بينها، وينتهي بالتمحيص إلي تخير ما يقتضيه منها،

---

(١) الشيخ.مصطفي عبد الرازق: التمهيد، ص: ٢٢٠.



ومنها أسلوبه في الحوار الجدلي المشبع بصور المنطق ومعانيه حتي لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث، ولطف الفهم، وحسن التصرف في الاستدلال، والنقض، ومراعاة النظام المنطقي حوارًا فلسفيًا علي رغم اعتماده علي النقل أولاً وبالذات واتصاله بأمور شرعية خالصة"[١].

ويكاد يجمع مؤرخو"علم الأصول"على أن أول محاولة لوضع مباحث الأصول كعلم نجدها عند الشافعي، وهوأول من صنف فى علم أصول الفقه، وفى هذا يقول ابن خلدون :"وكان أول من كتب فيه الشافعي...،أملى فيه رسالته المشهورة" [٢].

فالإمام الشافعي صاحب أول مصنف في أصول الفقه، وهو علم مناهج البحث في صورته الإسلامية.

وعلم أصول الفقه: "هو مجموع طرق الفقه من حيث إنها علي سبيل الإجمال وكيفية الاستدلال بها وحال المستدل بها"[٣]. فهوالقواعد التي ينبغي أن يسيرعلي منهجها الفقيه ، كما أن المنطق آلة تعصم الذهن من الخطأ في التفكير.

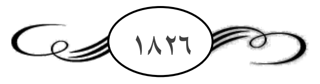
يقول د النشار: "اعتبار علم أصول الفقه بالنسبة إلي الفقه كاعتبار المنطق بالنسبة إلي أرسطو"[٤] .

(١) المصدر السابق، ص: ٢٤٥.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص: ٣١٩.

(٣) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، (ت٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، (بيروت دار الكتب العلمية، ط١(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ١ / ١٩.

(٤) النشار ،علي سامي ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، (دار النهضة العربية، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص: ٧٩.



يتضح من ذلك أنَّ الإمام الشافعي مع حبه للأثر، ومناصرته للسنة ،وتأكيده على محدودية العقل، وقصوره فيما يتعلق بالمسائل الاعتقادية إلا أنه مع ذلك فهو صاحب منهج عقلي متوافق مع النقل، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المتكلم في قضايا العقيدة.

ثالثاً : الجمع بين المنقول والمعقول .

كان شيوع ظاهرة الجدل المناظرات فى عصر(الشافعي) نتاج الحراك الفكري ، والتعددية المذهبية مما أدى إلى انتشار مناهج فكرية مختلفة، فظهرت مدارس مختلفة في الفقه عرف بفقه الرأي، وفقه الأثر، كذا مدارس مختلفة في علم والكلام والعقيدة:"ولقد وجد في ذلك العصر الذي كان خصبًا بالجدل، والخلاف طائفة أنكروا الاحتجاج بالسنة والأخبار المنسوبة للنبي، وذكر مناظرته لهم" (١)

تميز الشافعي بنزعة وسطية في الفروع؛ إذ كان تمايز قبله اتجاهان: الرأي والنقل، فجمع الشافعي بينهما كذلك أعجب اتباع الشافعي بمنهجه هذا فطبقوه على الأصول، بحيث يمكن القول أنه قد تفرع عن مدرسة الشافعي الفقهية مدرسة كلامية تنتهج منهج الشافعي فى التوسط بين النقل والعقل بصدد مسائل علم الكلام، مدرسة نقلية عقلية.

جمع الشافعي بين الحديث والرأي؛ فقد حفظ موطأ مالك ثم سافر للقائه وطلب العلم، فلزم مالكاً، وتفقه عليه حتي وفاته" (٢).

ولما انتقل الشافعي إلي العراق كانت فرصة لدراسة فقه أهل الرأي على يد محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبو حنيفة ، وفي ذلك يقول ابن حجر: "انتهت

(١) الشيخ. أبو زهرة: الشافعي،ص: ٧٧.

(٢) أبو حاتم الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، ص:٢٧، ٢٨.



رياسة الفقه بالمدينة إلى مالك بن أنس فرحل إليه، ولازمه وأخذ عنه، وانتهت رياسة الفقه بالعراق إلى أبى حنيفة فأخذ عن صاحبه محمد بن الحسن حملاً ليس فيه شيء إلا وقد سمعه، فاجتمع له علم أهل الرأي، وعلم أهل الحديث"(١)، وبذلك جمع الشافعي بين النقل والعقل، وفى هذا أيضًا يقول أبو حاتم الرازي: "الناس كانوا قبل زمان الشافعي فريقين أصحاب الحديث، وأصحاب الرأي، أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظروالجدل، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأي سؤالاً أو إشكالاً سقطوا فى أيديهم عاجزين متحيرين، وأما أصحاب الرأي فكانوا أصحاب النظر والجدل، إلا أنهم كانوا عاجزين عن الآثار والسنن، وأما الشافعي رضي الله عنه فكان عارفًا بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم محيطًا بقوانينها، وكان عارفًا بآداب النظر والجدل قويًا فيه،... وكان قادرًا على قهر الخصوم بالحجة الظاهرة... فانقطع بسببه استيلاء أهل الرآي على أهل الحديث"(٢) .

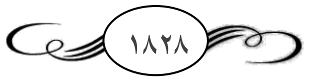
واجتمع للشافعي كما يقول الشيخ أبو زهرة: "فقه مكة والمدينة والشام ومصر والعراق، ولم يجد حرجًا في أن يطلب الفقه عند من اشتهر بالاعتزال – إبراهيم بن يحيى الأسامي"(٣).

يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق: "ومن انقسام الفقهاء إلى أهل الرأي يعتمدون في نهضتهم على سرعة أفهامهم، ونفاذ عقولهم، وقوتهم في الجدل،

(١) ابن حجر: توالى التأسيس، ص٦٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام ،٢/ ٢٢٠.

(٢) ابن أبي حاتم الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، ص: ٩٣،٩٤.

(٣) والشافعي لم يتأثر باعتزاله فقد أخذ عنه الفقه والحديث لا أصول الدين، وعرف بأنه في أصول الاعتقاد قد سلك مساك أهل الحديث والفقه. راجع: الشيخ محمد أبو زهرة: الشافعي حياته وعصرة وآراؤه وفقه،ص ٢٩٦



وأهل الحديث يعتمدون على السنة والآثار، ولا يأخذون من الراي إلا بما تدعو إليه الضرورة، كان الحال على ما ذكرنا حين جاء الشافعي"[١] .

ويظهر مما سبق أن الشافعي عاش فكر عصره عقيدةً وفقهًا، وقد اتبع الجمع بين العقل والنقل مع تقديم النقل خلافًا للمعتزلة.

رابعاً : **تمكنه من المناظرات العقدية** .

عُرف عن الإمام (الشافعي) إسهامه في المناظرات التي عرفها عصره بعضها في الفقه، وبعضها في الفقه الأكبر، وهو الذي علَّم الناس الحُجج، وكانت لديه القدرة علي دخول باب المناظرات العقدية التي كانت سائدة في عصره، ولا غرو في ذلك فهو الفقيه الفيلسوف الذي تفاعل مع متغيرات عصره الفكرية.

وقد شهد له بجودة المناظرة، وأنه كان يقصد الحق، ولا يهدف إلي المكابرة ، بل إنه كان يبحث عن الحق سواء ظهر على لسانه أو لسان خصمه ،كما كان يري أن اختلاف الرأي لايفسد الود بين المتناظرين.

وما من أحد في عصر الشافعي كملت فيه أدوات المناظرة كما كملت فيه، فكان يمتلك حدة في الذكاء، وقوة الحجج، وثباته عند المناظرة، وإفحامه الخصوم.

ومن تلك الراوايات ما حدث به أبو محمد بن حيان عن عبد الرحمن بن داود عن زكريا النيسابوري عن علي بن حسان عن ابن إدريس قال: "أخبرني رجل من إخواننا من أهل بغداد، قال :قدم علينا نعيم بن حماد وحثنا على طلب المسند، فلما قدم علينا الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء [٢]".

---

(١) الشيخ . مصطفي عبد الرازق: التمهيد،ص: ٣١٨.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق،١٠١/٩.



وقال أصحابه عنه "كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأي، فلم نحسِن كيف نرد عليهم، حتى جاءنا الشافعي ففتح لنا [1].

لم يعرف في عصر الشافعي من له قدرة على المناظرة في علمي الأصول والفروع كمثله

حدث الحسن بن سعيد بن جعفر عن زكريا الساجي عن الزعفراني قال:"حج بشر المريسي سنة إلى مكة ثم قدم فقال: لقد رأيت رجلاً ما رأيت مثله سائلاً ولا مجيبًا، يعني الشافعي" [2] .

وصور هارون بن سعيد اقتدار الشافعي علي كسب الظفر بالمناظرة، بغلبة حجته ، وقوة أدلته فيقول: "لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلب في اقتداره على المناظرة"[3].

ولقوة الشافعي في المناظرة كان كثير ممن شهده يناظر يرثي لحال مناظره، ويشفق عليه قال ابن عبد الحكم :"ما رأيت الشافعي يناظر أحدًا إلا رحمته، ولو رأيت الشافعي يناظرك لظننت أنه سبع يأكلك، وهو الذي علَّم الناس الحجج" [4].

وهذه العبارات تقرر أمرين : الأول: أن الإمام الشافعي علَّم الناس الحُجج، الثاني: اقتِدار الإمام الشافعي علي المناظرة بامتلاك أدواتها علمًا بالدليل، وفطنة في استخدامه.

وتنوع شيوخ الشافعي، وتنوع علوم عصره أدى إلي معرفته الاتجاهات المذهبية في عصره جيدًا، فقد جلس إلي شيخ عرف بالاعتزال، وأخذ عنه الفقه

---

(١) المرجع السابق، ٩/ ١٠٣، ١٠٥.
(٢) أبو نعيم الأصبهاني: مرجع سابق،١٠٣.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٩/١٠ .
(٤) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ٩/ ١٠٣



كما جادل الزنادقة في مسألة وجود الله، وما أثر عنه من عبارات في هذا الباب تؤكد معرفته بالفرق الإسلامية المختلفة ، وجداله لهم يُبين شمول معرفته لفكر غيره .

لقد عاش الشافعي فكر عصره عقيدة وفقهًا ، كما قال الإسفرايني: "تناظر الشافعي رضي الله عنه فى أيامه مع بشر المريسي مناظرة عنيفة، فلما عرف الشافعي أنه يوافق أهل السنة فى مسألة ، والقدرية فى مسألة (خلق القرآن)، قال له: نصفك مؤمن ونصفك كافر"(١).

ومناظرات الإمام(الشافعي) مع من عارضوه في مذهبه كثيرة، وما حاور واحدًا منهم إلا غلبه، ولا ناقشه إلا ظفر به وانتصر عليه .

وكان الإمام(الشافعي) من رباطة الجأش وجدية الحوار بحيث يستطيع إقناع من يستعصى إقناعهم، وإفحام من يظن أنه صاحب علم وبيان، وما كان ذلك طلبا لشهرة أو محاولة لاستقطاب الأنظار إليه؛ وإنما لأن قدرته الاستنباطية قد أهلته لمكانة من التفكير والاستدلال المبني علي أسس من العقيدة ، ودعامات من الكتاب والسنة .

حول قضايا العقيدة كانت للشافعي مناظرات، ثم ذكرها في ثنايا الفصل السابق في إسهاماته في قضايا العقيدة.

---

(١) أبو المظفر: التبصير فى الدين، ص: ٩٢.



المبحث الثاني: أثر الإمام الشافعي في الفكر الأشعري

مما هو معروف لدارسي علم الكلام أن الإمام الأشعري ظل معتزليًا نصف عمره، ثم تحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة بل صار إمامها ، وأقام مذهبه على دعامتين النقل والعقل . والسؤال الذي يطرح نفسه من أي معين كون إمام أهل الحق مذهبه هذا؟

هناك من يرى أن الإمام (الأشعري) في الفقه كان شافعيًا؛ لأنه أخذ الفقه عن أبى اسحاق المرزوي ت(٣٤٠هـ)، إمام عصره فى الفقه الشافعي، فقد كان الإمام (الأشعري) :" يجلس أيام الجُمعات فى حلقة أبى اسحاق المروزي الفقيه فى جامع المنصور"(١).

وقد أكد السبكي أن الإمام (الأشعري) حدَّث عن زكريا الساجي من فقهاء الشافعية كما أنه تفقه بأبي إسحاق المروزي، ونفى القول عن الأشعري أنه كان مالكيًّا فقال :" وقد زعم بعض الناس أن الشيخ - يقصد الإمام الأشعري - كان مالكي المذهب وليس ذلك بصحيح إنما كان شافعيًا تفقه على أبي إسحاق المروزي نص على ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك فى طبقات المتكلمين"(٢).

وعَمَد ابن عساكر إلى عدم نسبة الإمام الأشعري إلى مذهب فقهي محدد فقال:" إنه كان ينظر فى فقه المذاهب ولا يتحزب لبعضها على بعض؛ بل ينسب إليه القول بتصويب المجهتدين فى الفروع ، وهذا مما سهل له جمع كلمة أهل السنة حول دعوته الحقة"(٣)

و قد سبق القول: إن الإمام الشافعي قد جمع بين أهل الرأي وأهل

---

(١) البغدادي: تاريخ بغداد ج٣٢٧/١١.

(٢) ابن السبكي: طبقات الشافعية (١/ ٢٤٨)

(٣) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص: ١١٧.



الحديث، فسار الإمام الأشعري على دربه وتوسط بين الحنابلة الذين تشددوا فى النص، وبين المعتزلة الذين غالوا فى إعمال العقل .

ولقد كان لانتماء الإمام الأشعري الفقهي للإمام الشافعي كما ذكر د أحمد صبحي " أثره فى توجهه الكلامي ، فقد كان من المتعذر أن يظل معتزليًّا وفى نفس الوقت يتعبد فى الفقه على مذهب الشافعي فترجحت لديه شافعية المذهب الفقهي حتى تعذر عليه إمكان التعايش مع أفكار المعتزلة".[١]

ويعرف منهج الإمام (الشافعي) بالتوسط بين العقل والنقل، فكان له أثر بالغ ظهر صداه لدى (ابن كُلاَّب) [٢]، وأتباعه الذين سلكوا نفس مسلك الشافعي فى مناظراتهم للفرق المختلفة التى أفرطت فى الميل إلى النزعة العقلية، وفى نقدهم لفقهاء الحنابلة الذين تمسكوا بالوقوف عند النص.

ثم جاء الإمام (الأشعري) ليسير فى نفس الطريق ، كما أشار إلى ذلك الشهرستاني الذى جعله من طائفة الصفاتية من أهل السنة – الذين أثبتوا صفات أزلية لله تعالى – ممن باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية ، كما عدَّه من أتباع (ابن كُلاب) إذ أنه بمجرد أن مال الأشعري عن الاعتزال انحاز لهذه الطائفة، وأيّد مقالتهم بمناهج كلامية وأصبح ذلك مذهبًا لأهل السنة والجماعة فانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية "[٣]

لقد عاصر (الإمام الأشعري) أتباع ابن كلاب واستعار منهجهم فى نصرة السلف بمنهج يتوسط العقل والنقل، و يمكن القول: إن المدرسة الكُلابية ومنها

---

(١) د. أحمد صبحي: فى علم الكلام ، (١/ ٥٢) .

(٢) هو أبو عبد الله سعيد التميمي من متكلمي أهل السنة في أيام المأمون، رد على المعتزلة ، (ت : ٢٤٠هـ) راجع : تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، ص: ٣٩٨.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل ، ص: ٩٢،٩٣ .



الحارث المحاسبي ت ٣٢٠هـ [١] كانت حلقة وسطى بين الإمامين (الشافعي)، و(الأشعري)، واختار الإمام الأشعري مدرسة ابن كُلّاب لأنها" أقرب مدارس أهل السنة إلي المنهج العقلي التي تري استحسان الخوض فى علم الكلام، وتأييد ما كان عليه النبي – صلي الله عليه وسلم– وأصحابه بالأدلة العقلية" [٢]

وجملة القول: إن منهج الكُلابية كان يتمثل فى نقض آراء الخصوم من أتباع الفرق المختلفة والتى وردت فى كتبهم، ثم بناء مذهب كلامي جديد يعبر عن معتقد السلف وذلك دون تجاهل للعقل" بحجة أنه أدى إلى انحراف المعتزلة وغيرهم من المتكلمين ، ونتيجة لذلك قام علم الكلام عند الصفاتية على نقل وعقل معًا" [٣].

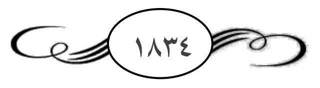
أخذت هذه المدرسة – الكُلاَّبية – إذن على عاتقها مهمة الدفاع عن عقائد السلف ضد المفرطين فى العقل، والمتمسكين بظاهر النص الذين وقعوا فى التجسيم، فآراء (ابن كُلّاب)، وأتباعه لا تخرج عن آراء الأئمة من الفقهاء قبله خاصة (الشافعي) الذى كان إمامًا لمعاصري (ابن كُلاب) الذى نصر السنة، وجمع بين العقل والنقل، وسار (ابن كُلاب) إذن على نفس طريقة الإمام (الشافعي)أمام المعتزلة الذين قدموا العقل علي النقل.

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي كان فقيهًا متكلمًا صنف كتبا كثيرة فى الزهد وأصول الديانة والرد علي المعتزلة، ذكر البغدادي أنه تتلمذ علي الشافعي فى رحلته الثانية إلي بغداد، وصنفه ضمن الطبقة الأولي التي صاحبت الشافعي، وقد شكك ابن الصلاح في صحة هذه الرواية ويري أنه ربما يقصد طبقة الآخذين عنه، وعلي كل ثمة إلتقاء بين آراء وفكر الشافعي والمحاسبي راجع: طبقات الشافعية ١/٣٧،٣٨، وفيات الأعيان ٢/٥٧،٥٨.

(٢) د. محمد سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، ١/٣٠٣ بتصرف.

(٣) المحاسبي، الحارث بن أسد (ت ١٧٠)، فهم القرآن ومعانيه ، تحقيق: حسن القوتلي، (ط/ دار الفكر ١٣٩٨هـ)، ص: ١٠٨ ، ١٠٩.



وكما اضطر الإمام (الشافعي) أن يتكلم ليبسط العقيدة لمن صعب عليهم إدراك حقيقة الأمر كذلك كان بالنسبة للكُلابيين، إذ اضطرتهم الظروف إلى الكلام دفاعًا عن العقيدة، ونصرًا لطريقة السلف الصالح فكلٍ من الإمامين يرى الكلام عند الضرورة.

ولذلك لا تخرج أصول (ابن كُلاب) عن أصول (الإمام الشافعي) فى مجملها، ليوصله بعد ذلك للأشاعرة التى تبنّت آراء هذه المدرسة واحتوتها فى مذهبها تمامًا.

قال ابن السبكي عن الأشعري في طبقات الشافعية:" اعلم أن أبا الحسن لم يبتدع رأيًا، ولم ينشأ مذهبًا، وإنما هو مقرر لمذهب أهل السلف، مناظل عمّا كانت عليه صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فالانتساب إليه إنما هو بأنه عقد علي طريقة السلف نطاقًا وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به فى ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمي أشعريًا... وقد ذكر شيخ الإسلام العز بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة " (١)

وقد ذكر البغدادي فى حديثه في بيان فضائل أهل السنة أن: " أول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب: أبو حنيفة والشافعي"(٢).

فالإمام الأشعري عدل عن الاعتزال إلى متابعة طريقة أهل السنة والجماعة التي صار فيها إمامًا ، فكان نصير مذهب لا منشيء مذهب ، فهو لم يبتدع مذهبًا، و لم يخرج فى كتبه عما عليه الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ولهذا قال: "قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون"(٣).

---

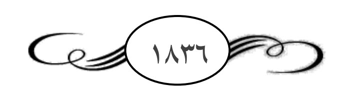
(١) ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ت ٧٥٦هـ .(٢/ ٢٥٤- ٢٥٥).
(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق،ص ٣٦٣.
(٣) أبو الحسن الأشعري: الابانة عن أصول الديانة (بيروت: ط١، دار ابن زيدون،ص: ٨-٩.



وقد انتقلت آراء الشافعي الكلامية بصدد: إثبات وجو الله ووحدانيته، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومسألة خلق الأفعال، ورؤية الله يوم القيامة، إلى الإمام الأشعري عن طريق المدرسة الكُلّابية،ولم تخرج أصول ابن كلّاب عن أصول الشافعي فى مجملها، وترسخت هذه الآراء فى معتقد الخلف من أهل السنة بفضل الإمام الأشعري.

يعتبر ابن كُلَّاب إذن الحلقة الوسطى بين الشافعي والأشعري، ومثلت مدرسة ابن كُلَّاب الاتجاهات الأولي للفكر الأشعري، إذ تبنت الأشعرية آراء هذه المدرسة واحتوتها فى مذهبها تمامًا ، وقد بقيت الأشعرية منهج ومذهب أهل السنة الذي عليه جُل المسلمين ، وكبار علمائهم بفضل الله عزوجل، ثم بفضل رجالها الذين أوضحوا المنهج، وطوروا، وأكملوا المذهب .

ومما سبق يتبين لنا أن آراء الشافعي الكلامية، ومناظراته التى تجمع بين النقل والعقل ، وسلامة منهجه، والرضا بطريقته، قد شَكَّلت البذور الأولى لمذهب الأشاعرة، و الذى بدوره يشكل أهم مذهب كلامي لجمهور الخلف من أهل السنة، المبني علي أن الإسلام هو دين النقل المؤيد بالعقل ، وجمهور الشافعية من المتكلمين غفير ففيهم الأغلبية الساحقة من الأشاعرة مذهب أكثرية أهل السنة.



الخَاتِمَةُ

أَهَمُّ نَتَائِجِ البَحْثِ والتَوصِيَّاتِ:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أتوجه فى خاتمة بحثي بالشكر الجزيل إلى الله – سبحانه وتعالى– على إتمامه، فهذا من مِنَنِه وإحسانه، وأخلص إلى أهم نتائج البحث فيما يلي:

١- علم الكلام كما وصفه علماؤه علم لإثبات العقائد الدينية، ولدفع الشبه الواردة عليها، وما ورد عن الإمام الشافعي بالقدح في علم الكلام؛ لأنه كان يطلق آنذلك على القدرية، والمعتزلة، وأهل الزيغ والأهواء، .

٢- كما بَيّن البحث إسهامات الإمام (الشافعي)، وقدرته في تقرير بعض القضايا الكلامية الكبري كالاستدلال على وجود الله سبحانه، ووحدانيته، وقضية خلق القرآن، ورؤية الله فى الآخرة، وغير ذلك من القضايا الكلامية مما يدل على أنه ما تكلم فيه إلا بعد أن سبر أغواره، وأحاط بدقائقه، ؛ لكنه لم يتأثر بالمناهج الفاسدة في الاستدلال .

٣- تبين من خلال البحث ما امتازت به شخصية الإمام (الشافعي) بقدرته العالية على المناظرة والحجاج، والتفكر العميق، واللسان الفصيح، وأن له رأي ورؤية في كل ما يدور حوله من أحداث فكرية تفتقت من رغبة التفاعل بين قضايا العقل، وقضايا النقل .

٤- أظهر البحث أن الإمام (الشافعي) لم يكن لديه شغف في المناظرات في علم الكلام إلا إذا ألجأه الموقف، وفرض عليه الظرف التطرق إليه، فيتأهب لذلك حتى لا يجد الخصم بدا من التسليم بقول الشافعي لبراعته في إفحام الخصم، ، لدرجة أن البعض شبهه بأنه كالسبع يكاد أن يأكل خصمه.

٥- كان لفكر الإمام (الشافعي) مقومات وخصائص ميزت فكره، وأكسبته قبولاً عند جمهور أهل السنة، فمع اتباعه للأثر؛ إلا أنه كان يؤمن بالنص المؤيد



بالعقل، وما تأصيله لعلم الفقه، وتأليفه فى أصوله إلا برهنة علي قوته الاستدلالية.

ومن أهم ما توصل إليه البحث أن آراء الإمام (الشافعي) الكلامية كانت اللبنة الأولى التي شَكَّلت المذهب (الأشعري) عن طريق المدرسة الكُلَّابية، والذى بدوره قام عليه أهم مذهب كلامي لجمهور الخلف من أهل السنة .

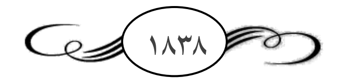
التوصيات:

ضرورة إبراز الجانب الكلامي لدي المنتمين للعلوم الشرعية على اختلافها لبيان الصلة بين علم الكلام، وغيره من العلوم، لأنه أصل تقوم عليه سائر الفروع الأخرى، وبالتالي من الأهمية بمكان أن تكون دراسات بينية يظهر من خلالها ترابط علوم الإسلام ببعضها البعض.

وختامًا أرجو وآمل أن أكون قد وفقت إلى ما كنت أتغيَّا، فإن كان من هنات فمن نفسي، ومما جرتني إليه طبيعة البشر، وحسبي أني تَبَتَّلتُ الغاية، وتحفيّت الوسيلة، عسى أن تأتي ريحه رخاءً حيث أصاب، والله من وراء القصد وعليه التكلان.

والحمد لله في الأولى والآخرة





ثبت بأهم المصادر والمراجع :

أولاً : **القرآن الكريم** .

ثانياً : **كتب متنوعة** :

١- أحمد بن الحسين البيهقي: مناقب الشافعي ، تحقيق أحمد صقر،(القاهرة ، مطبعة التراث ، ط١ ،١٩٧١)

٢- أحمد بن علي بن ثابت البغدادي: تاريخ بغداد ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، (بيروت،دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢ه، ٢٠٠٢م)

٣- أحمد محمود صبحي: في علم الكلام ،الإسكندرية ،مؤسسة الثقافة الجامعية ،١٩٩٢م) .

٤- أحمد بن علي العسقلاني : توالي التأنيس بمعالي بن ادريس .تحقيق عبد الله محمد الكندري .الناشر .دار بن حزم ط١، ٢٠٠٨م).

٥- أبو اسماعيل الهروي الأنصاري: ذم الكلام وأهله . المحقق أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري ،ط١،النشر ١٤١٩ه. ١٩٩٨م).

٦- ابن بطة العكربي: الابانة الكبرى ، المحقق رضا معطي وعثمان الأثيوبي ،ويوسف الوابل ،والوليد بن سيف النسر، وحمد التويجي (ط١/دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض)

٨- تاج الدين بن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د، محمود محمد الطناحي ،د . عبد الفتاح محمود الحلو (الناشر . هجر للطباعة والنشر والتوزيع . ط٢. ١٤١٣ه)

٧- ابن أبي حاتم ا لرازي: آداب الشافعي ومناقبه، كتب كلمة عنه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ .

٨- الحافظ ابن حجرالعسقلاني: تقريب التهذيب، (تحقيق: محمد عوامة،



الناشر: دار الرشيد– سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).
٩- الحافظ ابن حجر العسقاني: تهذيب التهذيب ، (طبعة حيدر آباد ، ١٣٢٧ه).
١٠- الحافظ ابن حجر العسقاني: توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، (تحقيق: عبد الله محمد الكندري، الناشر: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).
١١- الحافظ بن الحجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
١٢- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ،تحقيق عبد الحليم حمود ،ط٦، ١٩٧٨م).
١٣- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، (ط/ دار المعرفة بيروت، ط١(١٤٣٢هـ).
١٤- أبو الحسن الأشعري :استحسان الخوض في علم الكلام ،(دار النشر .مكتبة السادة الأشراف .عند حيدر آباد. ط٢ .١٣٤٤ه.١٩٢٥م)
١٥ – أبو الحسن الأشعري : الإبانة في أصول الديانة ،(بيروت .ط١. دار بن زيدون
١٦ – أبو الحسن الأشعري: اللمع فى الرد علي أهل الزيغ والبدع، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١، ٢٠١٠م ، ١٤٣١هـ).
١٧- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحاده، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، ط٢(١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).
١٨- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: ظ. يوسف علي طويل، د. مريم



قاسم طويل، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

١٩- خير الدين الزركلي الدمشقي: الأعلام، (ط/ دار العلم للملايين- الخامسة عشر- أيار- مايو- ٢٠٠٢م).

٢٠- عز الدين الجزري ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تحقيق علي محمد عوض، عادل محمد عبد الموجود،الناشر دار الكتب العلمية ،(ط١ ،١٤١٥ه ،١٩٩٤م)

١٩--أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي : الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبى حنيفة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٢م).

٢٠- علي بن الحسن ابن عساكرالدمشقي : تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

٢١- ابن عساكر :- تبين كذب المفتري فيما نسب إلي أبي الحسن الأشعري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٤هـ).

٢٢- عماد الدين الدمشقي بن كثير: - تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١(١٤١٩هـ).

٢٣- علي بن محمد بن الأثير :الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

٢٤- عبد الحي ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق/ محمود الأرناؤوط- (بيروت: ط/ دار ابن كثير، دمشق، ط١(١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

٢٥- أبو المظفر الأسفراييني: - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن

الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، لبنان: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٢٦- أبو المظفر السمعاني: الانتصار لأصحاب الحديث (المدينة المنورة: مكتبة أضواء المنار، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).

٢٧- أبو اليزيد العجمي: فقه العقيدة عند الشافعي وأحمد الموقف والمنهاج ،القاهرة: دار الصحوة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م).

٢٨- أبو عبد الرحمن السلمي: أحاديث في ذم الكلام وأهله بانتخاب أبي الفضل المقرئ، تحقيق: د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٠- أبو منصور البغدادي: الفرق بين الفرق ، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م.

٣١- أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٣٠ه،٢٠٠٩م .

٣٢- أبو بكر الآجُرِّيُّ: الشريعة، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، (السعودية: دار الوطن - الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م).

٣٣- كمال الدين البياضي: إشارات المرام من عبارات الإمام، (القاهرة: ط الحلبي، ١٩٤٩م).

٣٤-- شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط- (ط/ مؤسسة الرسالة- ط١، (١٤٠٢هـ /١٩٨٢م).

٣٥- شمس الدين الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١،



١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

٣٦- أبو عبد الله بدر الدين الزركشي:، البحر المحيط، ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٣٧- شهاب الدين الحموي: معجم الأدباء، تحقيق، إحسان عباس- ط دار الغرب الإسلامي- بيروت- الأولى-(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

٣٨- سعد الدين التفتازاني: - شرح العقائد النسفية، تحقيق: أحمد حجازى السقا، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٩٨٧م).

٣٩- الشريف الجرجاني: - شرح المواقف، وعليها حاشية الفناري: حسن جلبي بن محمد شاه الفناري الحنفي (ت٨٧٩هـ)، وحاشية السِّيَالْكُوتي: عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي (١٠٦٧هـ)، ط١/على نفقة الحاج محمد أفندي، ط/ السعادة بجوار محافظة مصر(١٩٠٧م .

٤٠- محمد ربيع الجوهري: الإمام الشافعي وعلم الكلام، (القاهرة، دار الطباعة، ط١، ١٩٨٦م ،١٤٠٧هـ).

٤١- جلال الدين السيوطي : صون المنطق والكلام، تحقيق: د. علي سامي النشار، والسيدة سعاد علي عبد الرازق، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية.

٤٢- محمد بن ادريس الشافعي: الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، مكتبه الحلبي،ط١، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م).

٤٣- محمد بن ادريس الشافعي: الأم ، بيروت: ط، دار المعرفة ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٤- أبو الفتح الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني جزءان، وحققه: عبد العزيز محمد الوكيل ، ط مؤسسة الحلبي وشركاه، ط١ (١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م).



٤٥- أبو نصرالفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق د. عثمان أمين، مكتبة الخانجي،١٣٥٠هـ.

٤٦- الفخرالرازي: مناقب الإمام الشافعي، تحقيق أحمد حجازي السقا، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ،ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٤٧- محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، الرياض، ط، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٤٨- هبة الله بن الحسن اللالكائي: أصول اعتقاد أهل السنة، تحقيق د. أحمد سعد حمدان (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ).

٤٩- الحارث بن أسدالمحاسبي البصري : فهم القرآن ومعانيه، تحقيق: حسن القوتلي، (ط/ دار الفكر ١٣٩٨هـ).

٥٠- أبو اسماعيل الهروي الأنصاري : ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م).

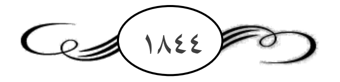
٥١- طاش كوبري زادة، المولى عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، ومصباح السيادة في موضوع العلوم ،(بيروت: دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

٥٢- علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٣- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر،محمد النجار،

المعجم الوسيط ، ط،دار الدعوة، ط٥ ،٢٠١١م .

٥٤- مصطفي عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، دار الكتاب



المصري، ودار الكتاب اللبناني: ط ١، ٢٠١٣م.
٥٥- محمد أبوزهرة: تاريخ الجدل، ط دار النشر العربي، ط١، ١٩٣٤م.
٥٦-محمد الأنور السنهوتي:- مدخل إلى علم الكلام ،مصر، ١٩٨١م.

فهرس محتوي البحث

